بحث حول

الغلو والغلاة

كتبه (بالفارسية) المرحوم الأستاذ

حيدر علي قلمداران القُمِّي

«اِحْذَرُوا على شَبَابِكُمُ الغُلاةَ لا يُفْسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ اللهِ، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ اللهِ، وَاللهِ إنَّ الغلاةَ شرٌّ من اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمَجُوسِ وَالذِينَ أشْرَكُوا...»

الإمام الصادق عليه السلام – أمالي الشيخ الطوسي (ص 650).

بسم العليّ الأعلى

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾
[المائدة:77]

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾
[النساء:171]

تمهيد في علل نشأة الغُلُوّ في الأديان

إن مطالعةً مختصرةً لتاريخ الأديان تُبَيِّنُ بوضوح أن أسوأ آفةٍ هدَّدت حقائق كلِّ دينٍ في كل زمنٍ كانت آفة الغُلُوّ والخرافات، وهذه الآفة تَعْرِضُ لِكُلِّ دينٍ حقٍّ من عدّة جهات ولعدّة أسباب:

أوّل علّة هي أن الاهتمام الشديد الذي يبديه الأتباع الصادقون لكلِّ دين فيتَّجهون نحوه بكلِّ إخلاص وصفاء وبكلِّ قواهم وبالمآل تبرز منهم قوى عجيبة تصنع المعجزات وفي النهاية وكما يقول الفيلسوف والشاعر الإنكليزي «برنارد شو» يشكِّل أتباع كل دين جديد أكبر طاقة خلاقة، وهذا الأمر يجعل الدين عرضةً لهجوم الغُلُوّ والخرافات عليه من جهتين:

الجهة الأولى من ناحية أتباعه وأصدقائه الذين لما كانوا يضيفون إلى ذلك الدين أقوالهم وأفكارهم رغبةً منهم في زيادة عزّة ذلك الدين وعظمته فإنهم ينسبون إلى ذلك الدين وأوليائه زخارف من الأساطير والخرافات كي يباهوا بعظمة ورفعة ذلك الدين التي ستؤول بالمآل إلى عظمتهم ورفعة أنفسهم وَتَفَوُّقِهِم على سائر الناس والمخالفين.

الجهة الثانية من ناحية أعداء ذلك الدين الذين يسعون من خلال نشر الخرافات والغلو فيه وتوسعتهما إلى منع الأتباع الصادقين والمخلصين والمضَحِّين لذلك الدِّين من النشاط وبذل التضحيات، ويدفعوا سائر الأتباع نحو أعمال وأفعال تخالف ذلك الدِّين وتضرّ به، وبهذا يُضْعِفُون الحميَّةَ والجدِّيّة الدينية بين أتباعه ومن الجهة الأخرى يجرّئون أتباع ذلك الدين، الذي عادةً ما تكون أحكامه وقواعده مخالفةً لمشتهيات النفس وأهوائها الشيطانية، على المعصية والفسق والفجور التي تؤدِّي إلى هلاك كلِّ ملّة وفناء كل أمّة.

والعلة الثانية لابتلاء الأديان الحقّة بالغلوِّ والخرافات: هو أن الجهل وقصور الفكر هو الذي يغلب على أكثر الناس، فالأكثرية في كل مجتمع هي طبقة الجهلاء والسطحيين، ولَمَّا كانت حقائق الدين متوافقة ومتجانسة مع حقائق عالم الوجود ونظام الخليقة وقوانينها التي لا

تتخلَّف، وكان إدراك هذه الحقيقة عسيرٌ على أذهان أكثرية الناس، ولا يستقر فيها إلا من خلال الممارسة التدريجية والتدريب المستمر، ولما كان أكثر الناس فاقدين للصبر وللقدرة على الانتظار لطيِّ مراحل الكمال درجة درجة للوصول إلى درجات الحقائق العالية لأنهم يريدون الوصول إلى مطلوبهم ومقصودهم بأسرع وقت، إلى درجة أن معبودهم لو جُسِّمَ أمامهم بصورة عجل لأسرعوا إلى عبادته! لذلك كلِّه نرى في تاريخ الأديان أن الدِّين الذي نجح في جلب أكثرية الناس هو ذلك الذي طرح معبوداً بصورة محسوسة وملموسة كما فعل السامريّ عندما صنع عجلاً ذهبياً له خُوَارٌ فخطف بهذا العمل النجاحَ من موسى كليم الله وتمكَّن من جذب أتباع موسى إلى عبادة العِجْل. ولهذا السبب بالذات يسعى بعض الأفراد إلى الاستغلال السيئ للطاقة القوية لاعتقادات أكثرية الناس والاستفادة منها على نحو غير مشروع، فيصنعون معبودات وينجحون في هذا الطريق! أما الأنبياء العظام والأولياء الكرام دُعاة التوحيد الخالص الذين يسعون في خلاص الناس وتكميل نفوسهم ونجاتهم فإنهم غالباً ما يُغلَبُون، لأن الأكثرية تعجز عن تلقي حقائق الدين العالية وتوحيده الخالص التامّ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:106].

والعلّة الثالثة لظهور الغُلُوّ وانتشار الخرافات أن الأنبياء المختارين الذين يصطفيهم الله من بين جميع بني آدم ويبعثهم لهداية البشر، يتميزون عادةً بقدرات فكرية وقِوَى علميّة وشمائل أخلاقية عالية يفوقون فيها سائر أفراد البشر، كما أن الله يمنحهم -لأجل تأييد نبوتهم- تصرفات في الممكنات من خرق العادات وإظهار المعجزات، مما يجعل الناس، الذين غالبيتهم بضاعتهم مزجاة في معرفة عالَم الكون، لا يتحمّلون رؤية تلك الآيات، وَبدلاً من أن يؤمنوا بصاحب القدرة والنعم الذي أظهر تلك المعجزات على أيدي الأنبياء ويسلِّموا بأن الأنبياء والأولياء عبادٌ لِلَّهِ بشرٌ كسائر البشر ارتقوا إلى تلك المقامات والرتب بفضل طاعتهم لِلَّهِ وإخلاصهم في عبوديته، وأن الله تعالى يمنح المطيعين ثواباً لا حدَّ له ويُنْزِل بالعاصين المجرمين عذابه، وأنه أراد إظهار تلك المعجزات على أيديهم إلزاماً للحجة وإتماماً للنعمة، أقول بدلاً من ذلك تُدْهِشُهُم تلك القوى والدرجات العالية والمعجزات الباهرة فيُسْحَرُون بها ويستنتجون

منها خطأً أن أصحابها ذوي صفات إلهية فيقعون في الغُلُوّ والانحراف وتدخل من هذا السبيل كثير من الخرافات.

ولعل هذا السبب يوضح لماذا اختار ربّ العالمين عموم أهل الكتاب المتدينين بدين سماوي وشرعة إلهية والمؤمنين بوحيٍ ورسالة، من بين جميع أمم بني آدم، ليعاتبهم ويجعلهم مستحقين لخطابه فيقول لهم ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [النساء:171].

وإذا راجعنا تاريخ الأديان السابقة وطالعنا كتبهم السماوية لرأينا أن كثيراً منهم وقعوا في الغُلُوّ والخرافات فغلوا في أولياء دينهم وبدلاً من اتّباعهم والعمل بتعاليمهم هاموا عشقاً بهم وتصوروهم أبناءً لِلَّهِ ومتصرفين في عالم الخليقة، وبهذا الغُلُوّ رأوا أنفسهم أعلى من غيرهم ورفعوا ذاتهم كل يوم درجة أخرى وصاروا يرون أنفسهم ودينهم، تبعاً لذلك، في مقام أعلى من سائر الأمم حتى وصل بهم الأمر أن يروا أنفسهم أبناءَ الله وأحبّاءَه وربَّما وضعوا أولياء دينهم موضع الله!!

مثل هذا الغُلُوّ وُجِدَ بين اليهود كما تشهد به التوراة والتلمود، فقد جاء في «سفر التكوين/الإصحاح السادس»: «وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، 2انْجَذَبَتْ أَنْظَارُ أَبْنَاءِ اللهِ إِلَى بَنَاتِ النَّاسِ فَرَأَوْا أَنَّهُنَّ جَمِيلاتٌ فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنْهُنَّ زَوْجَاتٍ حَسَبَ مَا طَابَ لَهُمْ. 3فَقَالَ الرَّبُّ: «لَنْ يَمْكُثَ رُوحِي مُجَاهِداً فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. هُوَ بَشَرِيٌّ زَائِغٌ، لِذَلِكَ لَنْ تَطُولَ أَيَّامُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَطْ». 4وَفِي تِلْكَ الْحِقَبِ، كَانَ فِي الأَرْضِ جَبَابِرَةٌ، وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ أَبْنَاءُ اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَلَدْنَ لَهُمْ أَبْنَاءً، صَارَ هَؤُلاَءِ الأَبْنَاءُ أَنْفُسُهُمُ الْجَبَابِرَةَ الْمَشْهُورِينَ مُنْذُ الْقِدَمِ».

فنلاحظ أن في هذه الآيات من التوراة اعتُبر المؤمنون أبناء الله وأنهم غير سائر الآدميين.

وفي الإصحاح الرابع من سفر الخروج/فقرة 22: «فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ.».

وفي الإصحاح الأول من سفر أيوب: «6وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ.»، وفي الإصحاح 38 من السفر ذاته جاء: «7عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعاً وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ!».

وفي مزامير داوود/المزمور الثاني: «7إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. 8اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ».

فكما قلنا رغم أن اليهود قالوا في بداية الأمر أن عزيراً ابن الله إلا أن هذه العقيدة توسعت تدريجياً حتى اعتبر مبتدعو عقيدة العزير ابن الله أنفسهم أيضاً أبناءً لِلَّهِ، وكما سنرى إن هدف كثير من الغلاة في كل دين من غلوّهم بحقِّ نبيِّ ذلك الدين أو أوليائه الصالحين أن يلصقوا أنفسهم بمقام ذلك النبيِّ والأولياء ويرفعوها تدريجياً إلى أعلى درجة بحيث يتحررون من قيود العبودية وتسقط عنهم التكاليف.

وبعد الديانة اليهودية نشاهد انتشار آفة الغُلُوّ ذاتها في كل جانب من جوانب النصرانية، خاصة نسبتهم الابن لِلَّهِ تعالى واعتبارهم الناس أبناء الله. ورغم أن فريقاً من النصارى أعطى مقام البُنُوَّة لِلَّهِ في بدء الأمر للمسيح عليه السلام فقط، وذلك لِما رأوا فيه من ميّزات وخصائص تفوق سائر البشر، ولكنهم ما لبثوا أن أعطوا ذلك المقام تدريجياً لكل من يتبع ذلك الدين أيضاً! كما تشهد لذلك آيات الأناجيل الحالية:

ففي إنجيل متّى (الإصحاح5/آية9): «9طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ يُدْعَوْنَ.». ثم في الآية 16 من الإصحاح ذاته: «16فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.»، ثم في الآية44: «44وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ 45لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

وفي الإصحاح السادس من إنجيل متّى أيضاً:

«9 فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ.»

«14فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. 15وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلاتِكُمْ.».

وفي رِسَالَةُ يُوحَنَّا الأُولَى/ اَلأَصْحَاحُ الثَّالِثُ جاء:

«1أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لاَ يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ. 2أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ.»

«9كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ. 10بِهَذَا أَوْلاَدُ اللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ.»

وبالتالي يتضح أن عقيدة بُنُوَّةِ المسيح لِلَّهِ في النصرانية وإن ابتدأت من باب الغُلُوّ في المسيح لما كان فيه من الخصائص والميزات الفائقة إلا أن العلة الأصلية لذلك الغُلُوّ به وابتداع تلك الخرافة هي أن يُوجدَ مخترعو تلك العقيدة لأنفسهم مقاماً متميزاً ومتفوِّقاً على سائر الأمم الأخرى إلى حدِّ أنهم أصبحوا يعتبرون أنفسهم أبناءَ الله وأحباءَه.

وقد ردَّ اللهُ تعالى ادعاء اليهود والنصارى هذا وذمهم عليه فقال: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة:18].

أما دين الإسلام فقد نفى بكل صراحة وقطع بُنُوَّةَ أيِّ كائنٍ لِلَّهِ تعالى، كما نقرأ ذلك في عديد من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة مريم: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم:88-93]. وقوله في ذات السورة: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [مريم:35].

ويكفي في ذلك سورة الإخلاص التي يقرؤها كل مسلم عشرات في صلواته

المفروضة. فلا مجال في هذا الدين المقدّس أن يُنسب الأنبياء والأولياء إلى بنوة الله. ولكن الغلاة في هذا الدين أدخلوا مثل هذه العقيدة التي استقوها حتماً من اليهودية أو النصرانية أو ربما كانوا أنفسهم يهوداً أو نصارى أسلموا وبقوا متأثرين بعقائدهم السابقة، أقوال أدخلوها في دين الإسلام، بأسلوب جديد، هادفين من وراء ذلك إلى أن يوجدوا لأنفسهم من خلال غلوهم بنبيهم وأئمتهم في الدين مقاماً متميزاً على سائر الناس، فخاطب الله تعالى المسلمين جنباً إلى جنب مخاطبة أهل الكتاب محذراً إياهم من الغُلُوّ الذي وقع فيه أهل الكتاب فقال: ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [النساء:171]، وقال: ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة:77].

مبدأ نشأة الغُلُوّ في الإسلام وبين الشيعة

إن وقوع الغُلُوّ وشيوعه في الإسلام يعود في مصدره – باحتمال قوي بل يقينـاً– إلى اليهود والنصارى، كما تدلّ على ذلك كتب التاريخ وكتب الملل والنحل مثل كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني (المتوفى 548هـ)، وكتاب «المقالات والفرق» لسعد بن عبد الله الأشعري (301هـ)، وكتاب «فرق الشيعة» لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي (310هـ)، وكتاب «التبصير في الدين» لأبي المظفر الإسفراييني (471هـ)، وكتاب «الفَرْقُ بين الفِرَق» لعبد القاهر البغدادي (429هـ)، والتي تبين جميعها أن أول وقوع للغلو في الإسلام كان من ناحية «عبد الله بن سبأ» اليهودي الذي غلا في علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا رغم أنه يوجد في زماننا علماء يسعون إلى إنكار وجود «عبد الله بن سبأ» من الأساس مدعين أنه من اختراع «سيف بن عمر» الذي هو أحد رواة تاريخ الطبري، هذا مع أن تاريخ الطبري أُلِّف في القرن الرابع الهجري، في حين أن قصة «ابن سبأ» موجودة في كتبٍ أُلِّفَت قبل قرون من تاريخ الطبري، وفيما يلي توصيف للغلاة كما جاء في كتاب «المقالات والفرق» (ص20) لسعد بن عبد الله الأشعري «رحمه الله» الذي كان من أكابر علماء الشيعة الاثني عشرية وأعلامهم: «فرقةٌ منها قالت أن علياً لم يُقْتَل و لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، وهي أوّل فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبيِّ من هذه الأمة، وأوّل من قال منها بالغلوّ، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني وساعده على ذلك عبد الله بن حرس وابن أسود، وهما من أجلة أصحابه، وكان أوَّلَ من أظهَرَ الطَّعْنَ على أبي بكر وعمر وعثمان من الصحابة وتبرأ منهم، وادَّعى أن علياً عليه السلام أمره بذلك، وأن التقيَّة لا تجوز ولا تحل، فأخذه عليٌّ فسأله عن ذلك؟ فأقرَّ به، وأمر بقتله، فصاح إليه الناس من كل ناحية يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟! فسيَّرهُ عليٌّ إلى المدائن، وحكى جماعةٌ من أهل العالم: أن عبد

الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في عليٍّ بمثل ذلك، وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمِنْ ها هنا قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذٌ من اليهودية، ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعيَ عليٍّ وهو بالمدائن وقَدِمَ عليهم راكبٌ فسأله الناس، فقال: ما خبر أمير المؤمنين؟ قال: ضربه أشقاها ضربةً قد يعيش الرجل من أعظم منها ويموت من وقتها، ثم اتصل خبر موته فقالوا للذي نعاه: كذبتَ يا عدو الله! لو جئتنا والله بدماغه ضربة، فأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدَّقْناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يُقْتَل، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض!».

ثم أخذ سعد بن عبد الله الأشعري يفصّل الكلام في فرق الغلاة ويبين عقائدهم إلى قوله في الصفحة 41: «فكان أول ما شرع لهم تحريم الختان!» إلى قوله: «وزعموا أنه أحل لهم الميتة ولحم الخنزير!».

ويشرح تلك الطوائف المغالية التي تفرّقت من الشيعة وقالت بعقائد عجيبة غالية، إضافةً إلى إضعافها للاعتقادات الإسلامية وتضييعها لأحكام الحلال والحرام، حتى يصل إلى ذكر طائفة «المنصورية» من غلاة الشيعة التي اعتقد أتباعها بأن آل محمد هم السماء والشيعة هم الأرض وأول خلق الله هو عيسى ثم علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذه العقيدة تبيّن بوضوح أن مخترعها كان مسيحياً، إلى أن يصل إلى قوله: «واستحلَّت جميع ما حرّم الله، وقالوا لم يحرّم الله علينا شيئاً تطيب به أنفسنا وتقوى به أجسادنا...»!!

وحتى يصل إلى وصف فرقة «الخطّابية» المفرطين في الغُلُوّ ويكتب عنهم: «فرقةٌ منهم قالت أن جعفر بن محمد هو الله وأن أبا الخطاب نبيٌّ مرسلٌ أرسله جعفر وأمر بطاعته! وأباحوا المحارم كلها من الزنا واللواط والسرقة وشرب الخمور... ومن أتباع أبي الخطاب سُمُّوا المخمِّسَة لأنهم زعموا أن الله عز وجل هو محمد وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة أي ظهر في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وزعموا أن أربعة من هذه

الخمسة تلتبس لا حقيقة لها والمعنى شخص محمد وصورته لأنه أول شخص ظهر وأول ناطق نطق، لم يزل بين خلقه موجوداً بذاته يتكوَّن في أي صورة شاء، يظهر لخلقه في صور شتى من صورة الذكران والإناث والشيوخ والشباب إلخ... وزعموا أن محمداً (أي تلك الحقيقة المحمدية الإلهية التي كانت أول شخص ظهر وأول ناطق نطق!) كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، لم يزل ظاهراً في العرب والعجم، وكما أنه في العرب ظهر، كذلك هو في العجم ظاهرٌ في صورة غير صورته في العرب، في صورة الأكاسرة والملوك الذين ملكوا الدنيا، وإنما معناهم محمد لا غيره، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وأنه كان يُظْهِرُ نفسَه لخَلْقِهِ في كلِّ الأدوار والدهور، وأنه تراءى لهم بالنورانية فدعاهم إلى الإقرار بوحدانيته، فأنكروه، فتراءى لهم من باب النبوة والرسالة فأنكروه، فتراءى لهم من باب الإمامة فقبلوه، فظاهر الله عز وجل عندهم الإمامة وباطنه الله الذي معناه محمد... وله باب هو سلمان... الخ»[1].

ويشرح المرحوم سعد بن عبد الله الأشعري (وكذلك المرحوم النوبختي) -ونذكّر ثانية أنهما من كبار أعلام علماء الشيعة الإماميّة - عقائد فرقة «الخطّابية» من غلاة الشيعة حتى الصفحة 53 ثم يبدأ في شرح عقائد طائفة «المعمّريين» الذين يقولون أن معمّر هو الله وأن معمّر أحلّ كل الشهوات وليس لديه شيء محرّم وأنه كان يقول أن هذا الشيء خُلق لذلك الشيء فلماذا هو حرام!؟ ثم يشرح في الصفحة 59 فرقة «العليائية» وهم أتباع «بشار الشعيري» الذين كانوا من غلاة الشيعة أيضاً وكانوا يقفون على أربعة أشخاص علي وفاطمة والحسن والحسين وكانوا أيضاً كسائر الغلاة يبيحون المحرمات ويعطلون الأحكام ويقولون بالتناسخ.

ثم يشرع في الصفحة 81 ببيان عقائد الإسماعيلية الخالصة الذين كانوا من غلاة الخطابية ويبين أنهم أظهروا الإباحة وجعلوا كل شيء مباحاً لهم، ويشرح في الصفحة 85 عقيدة عموم أصحاب أبي الخطاب وأنهم: «استحلوا مع ذلك استعراض الناس بالسيف وسفك دمائهم وأخذ أموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك على مذهب البيهسية والأزارقة في

---

(1) المقالات والفرق: ص 27 إلى 57.

الخوارج..».

وفي الصفحة 100 يحكي عن فرقة النميرية أتباع محمد بن نُصير النميري الذي ادعى أنه باب لحضرة الإمام علي النقي عليه السلام (الهادي)، وكان «يدّعي أنه نبيٌّ رسولٌ، وأنَّ عليَّ بنَ محمد العسكري (الهادي) أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن (أي الإمام العاشر علي بن محمد الهادي) ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به!..».

وكل طوائف الغلاة أو أكثرها كان لها مثل تلك العقائد وكما قلنا مراراً كان هدفهم من نشر تلك الاعتقادات تخريب أساس الإسلام وتحليل كل فعل حرام.

تسرب بعض عقائد الغلاة القدماء إلى المتأخرين

رغم اندثار وانقراض كل تلك الفِرَق الغالية في زماننا، ورغم أننا معشر الشيعة الإمامية نقول بكفر ونجاسة كل أولئك الغلاة ونتبرأ من عقائدهم الفاسدة، إلا أن بعض أولئك الغلاة وردوا من طُرُقٍ أخرى وفتحوا لأنفسهم أبواباً تحقق أهدافهم مثل القول بشفاعة مطلقة واسعة سعة السماء والأرض تنال من يتوسّل إلى الأئمة ويزور قبورهم ويشارك في مآتمهم وينذر النذور والأوقاف باسمهم وباسم سائر الأموات من صالحي ذراريهم -ولو كانت ذنوب المتوسِّل والزائر مثل الجبال الرواسي- فأوجدوا بذلك بين الشيعة بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان، واتخذ اللاحقون بذلك كتاب الله مهجوراً واتبعوا أهواء من قبلهم من الغلاة واستمرؤوا عقائدهم واطمأنوا بها لأنها وافقت هواهم.

إن شيعة زماننا رغم أنهم يميزون أنفسهم عن طوائف الشيعة الغلاة القديمة، ويتبرؤون بألسنتهم من عقائدهم إلا أن بعض تلك العقائد الغالية سرت -مع الأسف الشديد- إليهم بصور جديدة وانتشرت فيما بينهم.

وتكمن خطورة هذه الخرافات بشكل خاص في زماننا وذلك بسبب ظهور التيارات والأنظمة المخالفة للدين كالشيوعية والوجودية وانتشار الإلحاد بين كثير من سكان الأرض والذي أحد علله اختلاط الأديان بالأفكار البشرية والخرافات وما يرشح من أذهان الغلاة من المتدينين من أفكارٍ مغالية، فإذا لم يتم علاجها فإن أساس الأديان بأسره سيكون في خطر الانهدام الكلي. ومع ذلك لا نزال نجد بعض العلماء من أولئك الذين يعتبرون أنفسهم حرّاس الدين يقومون بنشر تلك الخرافات والعقائد الغالية التي تنتشر للأسف في أكثر كتبنا الدينية في هذا الزمن، وذلك مثل كتاب «أمراءِ هستي وتجلي ولايت» (أي أمراء الكون وتجلي الولاية) بالفارسية، وعددٍ آخر من الكتب بالعربية، تُروّج في المجالس والمنابر وتُنشَر من خلالها الخرافات.

أحد علماء زماننا[2] ألّف كتاباً عنوانه «إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب»، أراد من خلال موضوعات كتابه أن يثبت مسألة «الغيبة» أي بقاء الإمام الثاني عشر الغائب، وكما ادّعى ناشر الكتاب قام كبار علماء العصر بمساعدته على طبعه ونشره ولو ذكرنا أسماء أولئك العلماء الكبار هنا لاستغرب القرّاء واستنكروا ذلك!.

وفي ذلك الكتاب وبهدف إثبات مدَّعاه أورد المؤلف مطالب يبرأ منها حتى غلاة علماء الشيعة زمن الصفوية! فمثلاً كان من مستمسكات ذلك المؤلف «خطبةُ البيان» و«الخطبةُ التَّطْنَجِيَّة[3]» المنسوبتان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والمرفوضتان من جُلّ علماء الشيعة، والتي رفضها المرحوم العلامة المجلسي كما في بحار الأنوار (ج7/ص264، من طبعة كمباني الحجرية القديمة) وقال: «ما ورد من الأخبار الدالة على ذلك كخطبة البيان وأمثالها فلم يوجد إلا في كتب الغلاة وأشباههم».

وسنورد فيما يلي بعض الفقرات من «خطبة البيان» و«الخطبة التَّطْنَجِيَّة» التي وردت في ذلك الكتاب الذي يهدف إلى إثبات حياة إمام الشيعة الغائب والذي ساعد بعض علماء زماننا الكبار على نشره، لكي يرى القرّاء الكرام أن غلاة عصرنا لا يقلُّون في خرافاتهم وغلُوِّهم عن الغلاة القدماء الذين كان الأئمة يحذِّرُون منهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم.

جاء في تلك الخطبة التي يدّعي مفتريها وواضعها أن حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام وقف يخطب بها في البصرة فقال: «أنا المُخبِر عن الكائنات...أنا سرّ الخفيات... أنا مفيض الفرات... أنا مظهر المعجزات، أنا مكلّم الأموات، أنا مفرّج الكربات، أنا محلل المشكلات... أنا رافع إدريس مكانا عليّاً، أنا مُنطِق عيسى في المهد صبيّاً، أنا مدين الميادين وواضع الأرض، أنا قاسمها أخماساً، فجعلت خمساً براً، وخمساً بحراً، وخمساً جبالاً، وخمساً

---

(2) هو الشيخ علي اليزدي الحائري المتوفى سنة 1333هـ في كربلاء، والذي جاء وصفه في مقدمة كتابه المشار إليه بأنه شيخ الفقهاء والمجتهدين حجة الإسلام والمسلمين آية الله الكبرى في الأرضين! (المترجم).

(3) الخطبة التَّطْنَجِيَّة خطبة موضوعة طويلة رواها ونسبها إلى أمير المؤمنين، الشيخُ حافظ رجب البرسي (كان حيّاً 813 هـ) في كتابه «مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين»، وجاء اسمها من عبارة ﴿ أنا الواقفُ على التَّطْنَجَيْن ﴾ وهما - كما يزعم البرسي- خليجان من ماء!. (المترجم).

عماراً، وخمسا خراباً. أنا خرقت القلزم من الترجيم، وخرقت العقيم من الحيم، وخرقت كلا من كل، وخرقت بعضاً في بعض، أنا طيرثا، أنا جانبوثا، أنا البارحلون...!!»،

ويستمر في نسبة أفعال الله وصفاته تعالى – المفهومة وغير المفهومة – إلى نفسه حتى يصل إلى قوله: «أنا أبو المهدي القائم في آخر الزمان»، وبعد هذه الجملة يسأل مالك الأشتر أمير المؤمنين: هذا القائم من وُلْدِكَ متى يكون ظهوره؟ فيجيب: «فقال: إذا زهق الزاهق وحقت الحقائق ولحق اللاحق.. وذرفت العيون وأغبن المغبون وشاط النشاط وحاط الهباط وعجز المطاع وأظلم الشعاع وصمت الأسماع وذهب العفاف وسجسج الإنصاف واستحوذ الشيطان وعظم العصيان وحكمت النسوان وفدحت الحوادث ونفثت النوافث وهجم الواثب واختلفت الأهواء وعظمت البلوى واشتدت الشكوى واستمرت الدعوى وقرض القارض ولمض اللامض وتلاحم الشداد ونقل الملحاد..... (ويستمر أسطراً في سرد مثل هذه العبارات التي لا معنى لها حتى يصل إلى قوله)...وساهم المستحيح ومنع الفليج وكفكف الترويج وخدخد البلوع وتكلكل الهلوع وفدفد المذعور وندند الديجور ونكس المنشور وعبس العبوس وكسكس الهموس وأجلب الناموس ودعدع الشقيق وجرثم الأنيق...! الخ»،

فبالله عليك أيها القارئ الكريم هل هذه الكلمات والعبارت يمكن أن تصدر عن خطيب نهج البلاغة وإمام البيان الفصاحة؟؟ لعمري إنها أقرب إلى هذيان شخص ثَمِلٍ أفقده السُّكْر وَعْيَهُ فأخذ يهلوس بكلمات مهملة لا معنى لها!

وأعجب العجب أنه جاء في بداية هذه الرواية أن راويها «عبد الله بن مسعود» رضي الله عنه الذي كان من كبار صحابة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) رواها عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأن الإمام ألقاها في مسجد البصرة بعد انتهاء حرب الجمل، هذا في حين أن عبد الله بن مسعود تُوفي سنة 33 هجرية زمن خلافة عثمان ودُفن في المدينة، أما أمير المؤمنين فقد ولي الخلافة سنة 35 للهجرة، ووقعت واقعة الجمل ودخوله عليه السلام إلى البصرة بعد ذلك، فكيف تسنَّى لعبد الله بن مسعود أن يخرج من قبره ويحضر إلى البصرة ليسمع تلك الخطبة المليئة بالترّهات ويرويها والعياذ بالله عن علي بن أبي طالب؟!؟! وأكذب

الكذب ما كذّبه التاريخ.

كما أنه كيف يمكن لأمير المؤمنين عليه السلام أن يلقي مثل هذا الكلام على أهل البصرة الذين خرجوا عليه بعد مقتل عثمان -إذ كانوا يعتبرون عليّاً شريكاً في دم عثمان أو على الأقل ممالئاً لِقَتَلَتِهِ لذا فهو في نظرهم يستحق القتل- فيأتي عليٌّ ويلقي على مثل هؤلاء الناس مثل تلك العبارات؟!! إلى الحد الذي جاء في الخطبة المدعوة بالخطبة «التَّطْنَجِيَّة»: «أنا مدبرها، أنا بانيها، أنا داحيها، أنا مميتها، أنا محييها، أنا الأول، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن، أنا مع الكور قبل الكور... أنا مع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية... أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم... فإليَّ يُرَدُّ أمرُ الخلقِ غداً بأمرِ رَبِّي.... أنا أخلق وأرزق وأحيي وأميت... أنا... أنا...الخ»، وليت شعري إذا لم يكن هذا إدّعاءٌ للإلهية فما هو إذن؟! ألم يبقَ هناك عقلٌ -فكرٌ -تفكيرٌ -شعورٌ -وجدانٌ -إنصافٌ -حياءٌ في هذه الدنيا؟!!

وهكذا يواصل كلماته المسجّعة في تلك الخطبة حتى يصل إلى قوله: «...أنا مبرجُ الأبراج وعاقد الرياح، ومفتِّحُ الأفراج وباسط العجاج...!!»، نعم عندما لا يبقى هناك دينٌ ولا حياءٌ فلا غرابة في أن تُنْسَبَ مثل تلك الكلمات التي هي من أقذع وأفسد العبارات إلى لسان أفصح بلغاء العالم ومفخرة أولاد آدم، لكي يتخذ الكاتب منها حجة على ادّعائه وحلاً لمشكلته!

إننا لا نتعجب من واضعي تلك الخطب ومختلقيها الذين لا ريب أنهم كانوا زنادقةً عديمي الدين أو على الأقل لا يهتمّون بالدين أساساً لأنهم أيّاً كانوا فهم على أيِّ حال أعداءٌ للإسلام ولا يُنتظر من العدوّ غير ذلك! ولكن تعجبنا من الأشخاص الذين يتلبَّسون بلباس علماء الدين ويطرحون أنفسهم في المجتمع بوصفهم حفّاظ شريعته كيف يسمحون لأنفسهم بنشر تلك الأباطيل! والأعجب أيضاً من الأشخاص الذين يعرّفون أنفسهم في زماننا بوصفهم مراجع الشيعة ويشتهرون بهذا المقام ومع ذلك يساعدون على نشر هذه الخرافات التي يعرفون قبل أي احد آخر أنها تلفيقات مكذوبة من نسج خيال حفنة من المرضى المهووسين.

إن تلك الأباطيل والترّهات لا تختلف عن تلك الأباطيل التي نجدها لدى اليهود الـــذين يصفون الله بما يصغّر شأنه من أنه كان يتمشَّى في الجنة ويبحث عن آدم الذي كـــان مختبئـــاً تحت إحدى شجراها!! أو أنه يدخل في مصارعة مع يعقوب، أو يأكل العجلَ المشويَّ الذي هيّأه إبراهيم، مع اثنان من الملائكة! أو أباطيل النصارى التي نقرؤها في سفر الرؤية: «4وَقَـــدْ أَحَاطَ بِالْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشاً يَجْلِسُ عَلَيْهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ شَيْخاً يَلْبَسُونَ ثِيَاباً بَيْضَاءَ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ. 5وَكَانَتْ تَخْرُجُ مِنَ الْعَرْشِ بُرُوقٌ وَرُعُـــودٌ وَأَصْـــوَاتٌ، وَأَمَامَهُ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُضَاءَةٍ، هِيَ أَرْوَاحُ اللهِ السَّبْعَةُ. 6وَكَانَ يَبْدُو كَأَنَّ بَحْراً شَفَّافاً مِثْلَ الْبِلَّوْرِ يَمْتَدُّ أَمَامَ الْعَرْشِ، وَفِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَهُ أَرْبَعَةُ كَائِنَاتٍ تَكْسُوهَا عُيُونٌ كَثِيرَةٌ مِـــنَ الأَمَامِ وَمِنَ الْخَلْفِ: 7الْكَائِنُ الأَوَّلُ يُشْبِهُ الأَسَدَ، وَالثَّانِي يُشْبِهُ الْعِجْلَ، وَالثَّالِثُ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ إِنْسَانٍ....الخ».

ولا عجب من مثل أولئك الذين يؤمنون بتلك الأحلام والترّهات أن ينسبوا لِـــلَّهِ الابنَ فلا نتوقع منهم أفضل من ذلك، ولكن العجب ممن ينتسب إلى الإسلام وكتابه السماوي هو القرآن الذي يصف الله بمنتهى العظمة فيبين أن إدراك ذاته من المحالات وأنه محيط بكل شيء كما قال سبحانه: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِـــي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:3] وقال: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:103]، وقال كذلك: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِـــي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء:126]، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّـــئُهُمْ بِمَـــا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:6].

ويصف النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) عظمة الله تعالى فيقول إن هذا العالم بكل وســـعته وعظمته وسمواته وأراضيه بالنسبة إلى الكرسي مثل حلقة في فلاة[4] والكرسي بكل عظمتـــه

(4) الفلاة: الصحراء والأرض الواسعة التي لا ماء فيها. (المترجم)

بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة[5].

وقد ثبت في علم الفلك اليوم أن هذا الكون عظيم وواسع إلى درجة يعجز العقل عن استيعابها، فبعد اختراع التلسكوب وبناء مرصد «أرسي بوير» في «بورتوريكو» الذي يبلغ قطر عدسته 300 م لتأمّل النيازك والشهب في الليل، أصبح العلماء يمسكون برؤوسهم خوفاً من أن تطير منها عقولهم ويصابون بالجنون لهول ما يرونه! إذ يرون أن المسافة بين النيازك البعيدة والأرض تصل إلى تسعة مليارات سنة ضوئية (علماً أن السنة الضوئية هي ما يقطعه الضوء -الذي تبلغ سرعته 300 ألف كم/بالثانية الواحدة - خلال سنة من الزمن!)، ويرون ملايين المجرّات التي تملك كل واحدة منها ملايين الشموس والكواكب التي لا تشكّل شمسنا بالنسبة إليها أكثر من شمعة مقابل الشمس، ومسافة المجرّة التي تُشكِّل شمسنا جزءاً منها تصل إلى درجة أن الشمس التي تنتقل بتلك السرعة الهائلة تحتاج إلى أكثر من 500 مليون سنة لتدور ضمن تلك المجرّة.

أجل نحن نعيش في مثل ذلك الزمان وفي مثل هذه الدنيا، أفليس من العار أن يوجد في زماننا مسلمين يعتقدون أن هناك أفراد من البشر يقولون: «أنا مُبَرِّجُ الأبراج... ومفتِّح الأفراج»!!، أو أن هناك بشرٌ يدّعي أنه: «أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم... فإليَّ يُرَدُّ أمرُ الخلقِ غداً بأمرِ رَبِّي... أنا أخلق وأرزق وأحيي وأميت... أنا... أنا...الخ»، هذا في حين أن كل الناس كانوا يرون ذلك الشخص الذي تُنْسَبُ إليه تلك الكلمات إنساناً كسائر البشر لا يختلف عنهم من حيث حاجاته وبشريته، فهو قد وُلد كما ولدوا وكان طفلاً رضيعاً وكانت تعرض له كل عوارض الحياة من الجوع والعطش والمرض

---

(5) يشير إلى حديث موعظة النبيِّ لأبي ذر الغفاري التي رواها الشيخ الصدوق في كتابيه: «الخصال»، و«معاني الأخبار»، كما ذكرها المجلسي في «بحار الأنوار» (ج 55/ص5) وعبارته:﴿ في حديث أبي ذر عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال: ﴿ يا أبا ذرّ! ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ﴾. ومن أهل السنة روى الحديث بطوله: ابن حِبَّان في صحيحه/باب ما جاء في الطاعات وثوابها، وأبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء»/باب أبي ذر، وانظر «كنز العمال»، ج 16/ص 132. (المترجم)

والنوم والحاجة إلى المرأة والولد، مهما كان مقامه عالياً من ناحية الفضل والعلم والتقوى، ولكنه لم يكن كائناً لا نظير له من ناحية البشرية بل كان بشراً كما أمر الله تعالى من هو أفضل منه أن يقول ويبلغ الناس: ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:188]، و﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس:49].

وأساساً أيُّ حماقةٍ تلك أن نقوم بدلاً من اتِّباع عباد الله المصطَفَيْن الذين اختارهم الله لهدايتنا وليرشدونا إلى طريق الصواب والخطأ حتى لا نكون مسؤولين ومعاقبين أمام الله تعالى الذي أرسلهم، أن نقوم بدلاً من ذلك بتعظيم أولئك الهداة إلى حدّ إخراجهم عن البشرية والغلوّ بهم والوقوع في مستنقع الكفر والشرك؟!

لو كان لأولئك العباد مثل تلك القدرة والقوة لكان أمرُ اللهِ لنا باتِّباعهم والتأسِّي بهم ظلمٌ كبيرٌ وعملٌ قبيحٌ لأنه يكون بذلك كمن يأمر طفلاً أن يمشي بسرعة سيارة أو طيارة! فهل يمكن لأحد أن يتصور أن ربّ العالمين الحكيم والعادل يأمرنا بتقليد شخص يقول عن نفسه أنا مدبّر العالم حين لا سماءكم ولا أرضكم..، واتِّباعه؟! كلا وألف كلا ومعاذ الله، وتعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وكما ذكرنا فيما سبق إن مثل تلك الأفكار والعقائد إنما يخترعها أشخاص متكبرون جاهلون يتعيّرون من أن يكون نبيهم وإمامهم من البشر يأكل ويشرب وينام ويجامع ويمرض ويموت، لذا يدّعون أن أئمتهم في الدين يسمعون الأصوات ويقضون الحاجات ويشفون العاهات ويحيون الأموات ونحو ذلك من الأباطيل والترّهات، ويحوّلون أئمتهم في الدين إلى معشوقين خياليين ومعبودين مثاليين.

إن كثيراً من شيعة اليوم الذين يقولون إنهم ليسوا من الغلاة ولا من البنانيّة أو الخطّابية أو المغيريّة أو البشيريّة أو الإسماعيلية أو القرامطة ويبرؤون من الكل بل حتى يبرؤون من الشيخيّة والصوفيّة، يؤمنون –ظاهراً أو باطناً– بعقائد وأفكار تتطابق مع الأسف مع عقائد

أولـــئك الغلاة الذين كان الأئمة يلعنونهم ويتبرؤون من عقائدهم.

إلى درجة وصل معها الأمر إلى نشر وإشاعة مثل هذه العقائد الموجودة في خطبٍ كان يرفضها حتى علماء الشيعة الصفويين (رغم غلوّهم)، مثـــل «خطبـــة البيـــان» و«الخطبـــة التَّطْنَجِيَّة»، فينشرونها في القرن العشرين، أي هذا الزمن الذي أصبحت فيه حتى عقائد الدين الصحيحة موضوعاً لطعن وهجوم كثير من الناس الذين انتشرت بينهم الأفكـــار الإلحاديـــة. ويفعل أولئك العلماء ذلك تحت عنوان إلزام الخصم وإثبات الحجـــة فيســـمحون بنشـــرها وطباعتها مخالفين بذلك علماء الصدر الأول من كبار وأعلام الشيعة في القرنين الثاني والثالث (الذي كانوا يرفضون مثل تلك العقائد الغالية جملة وتفصيلاً، ويلعنون أصحابها ويبرؤون منهم ويكذِّبون أقوالهم ويطردونهم من صفوفهم).

إن علماءَنا الكرام الذين كانوا معاصرين للأئمة عليهم السلام ورأوهـــم وعاشـــروهم وتتلمذوا على أيديهم كانوا أعلم بحقيقة الأئمة ممن جاء بعدهم، وكانوا يطردون من صفوفهم كل من يجدون فيه شائبة غلوٍّ مهما كانت صغيرة، أما المتأخرون فلم يحظَ اعتقـــاد القـــدماء بالأئمة بقبولهم بل اعتبر أولـــئك المتأخرون أن تلاميذ الأئمة القدماء كانوا من المقصِّرين بحق الأئمة حتى قال قائل أحد المتأخرين، وهو آية الله عبد الله المامقاني (1350هـــ) في مقدمتـــه على كتابه الرجاليّ «تنقيح المقال في أحوال الرجال» (ص212):

«...وتلخيص المقال أن المتتبع النيقد يجد أن أكثر من رُمِيَ بالغلوّ بريء من الغلـــو في الحقيقة(!!)، وأن أكثر ما يُعدّ اليوم من ضروريات المذهب في أوصاف الأئمة عليهم الســـلام كان القول به معدوداً في العهد السابق من الغلو، وذلك نشأ من أئمتنا عليهم السلام حيـــث أنهم لما وجدوا أن الشيطان دخل مع شيعتهم من هذا السبيل لإضلالهم وفاءاً لما حلف به من إغواء عباد الله أجمعين، حذروهم من القول في حقّهم بجملة من مراتبهم، إبعاداً لهم عمّا هـــو غلوٌ حقيقة، فهم منعوا الشيعة من القول بجملة من شؤونهم حفظاً لشؤون الله جلّت عظمتـــه حيث كان أهم من حفظ شؤونهم، لأنه الأصل وشؤونهم فرع نشأت من قربهم لديه ومنزلتهم

عنده، وهذا هو الجامع بين الأخبار المثبتة لجملة من الشؤون لهم والنافية لها...»[6].

و لم يقم أحد ليقول لشيخ آخر الزمن هذا: أيها السيد! وهل جاء نبيٌّ بعد نبيِّ الإسلام أو إمامٌ بعد أئمَّةِ الهدى فأخبرك، أو نزل عليك ملاكٌ فقال لك: إن العقائد الغالية التي كان الأئمة في زمانهم يعتبرونها غلواً ويعتبرون القائلين بها غلاةً مفسدين أشرَّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، يجب أن نعتبرها اليوم من ضروريات الدين والمذهب؟؟!! فمن أين لك هذا الادّعاء؟! ولماذا؟ هل لأنَّ أساس الدين أصبح مزلزلاً اليوم فيجب أن نواصل نشر تلك الخزعبلات حتى نشوّه الدين ونريق ماء وجهه أكثر؟! خاصة في هذا العصر الذي أصبح فيه تقدّم العلوم وسعة الكون وعظمته أكثر دلالة من ذي قبل بملايين المرات على عظمة الخالق وأكثر برهاناً على نقص البشر وعجزهم أمام عالم الخليقة العظيم بملايين مجراته وما لا يحصى من كواكبه وسياراته التي يدرك الإنسان أمامها مدى ضآلته وضعف شأنه؟!.

أهذا هو العصر المناسب لنشر كتب من أمثال «عيون المعجزات»[7] و«مدينة المعاجز»[8] المليئة بالأساطير والخرافات المضحكة - التي صارت موضوعاً للسخرية وهزء الطبقة المثقفة والناس الأفاضل بالدين- واعتبار ما فيها من مطالب مغالية من ضروريات مذهب الشيعة؟!

وإذا كان الشِّرْكُ في نظر الشرع وفي حكم العقل أكبر المعاصي بل أكبر الكبائر، فهل يجوز أن نقوم بترويج ونشر تلك العقائد الشركية بل الشرك الصريح والجليّ عينه في عبارات من مثل «أنا أخلق وأنا أرزق وأنا أحيي وأميت...» الذي هو اشدّ بكثير من شرك الجاهلية،

---

(6) راجع كتاب تنقيح المقال في علم الرجال (ج1/ص226، وج2/ص93، وج2-2/ص82، وج3/ ص122 و132 و238).

(7) أي كتاب «عيون المعجزات المنتخب من بصائر الدرجات في تنزيه النبوات» تأليف الشيخ حسين بن عبد الوهاب، المتوفى في القرن 5 الهجري (بعد 448 هـ؟)، نشر: محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي، طبع النجف: المطبعة الحيدرية، 1369 هـ/1950 م.، و«بصائر الدرجات» هذا هو غير كتاب «بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد» لمحمد بن الحسن الصفار. (المترجم)

(8) كتاب «مدينة المعاجز» للسيد هاشم بن سليمان البحراني التوبلي الكتكاني المتوفى عام 1107 هـ (وقيل 1109هـ) من أعلام أخباريي الإمامية وصاحب تفسير: «البرهان في تفسير القرآن». (المترجم)

باسم دين الإسلام وباسم مذهب الشيعة حتى نذلّ طائفة الشيعة ونفقدها احترامها ووزنها أكثر مما هو قائم أمام سائر طوائف المسلمين ومذاهبهم الأخرى في الدنيا؟! إلى الحدّ الذي أصبح مخالفو هذا المذهب (أي مذهب الشيعة الإمامية) يعتبرون هذه الطائفة -من بين جميع المسلمين- مشركين، ويعتبرون دمهم ومالهم وعرضهم مباحاً لهم، ويستفيدون من كل طريق لتشويه تلك الطائفة والإساءة إلى سمعتها ويقومون ببيع وشراء فتياتها كإماء؟

وأسأل هؤلاء الناشرين لتلك الخرافات ما هي النتيجة المفيدة أو الجيدة التي حصَّلتموها حتى الآن من إصراركم على نشر مثل تلك الخزعبلات، حتى تواصلوا نشرها؟! وما الذي يعود عليكم أو يزيد في مكانتكم من توسيع مسألة الولاية، أو تضييقها وحصرها بعدد من الأفراد، وتوسيع موضوع الشفاعة إلى حد مفرط وتعميمها لكل أحد، والدعوة إلى الزيارات المخترعة وابتداع إقامة المآتم وقراءة المراثي؟! وهل تستفيدون من هذه البدع سوى خصومة أبناء دينكم من سائر المسلمين وتسهيل ارتكاب المعاصي على العوام، وهدر الأموال الطائلة فيما لا طائل تحته، وسخرية المثقّفين والمتعلّمين وسائر شعوب العالم من مراسمكم وطقوسكم تلك؟!

إنَّ عقيدة غلاة شيعة اليوم وجُهَلائِهِم ليست متأثِّرةً بعقائد الغلاة زمن الأئمة عليهم السلام فحسب، بل أصبحت تضاهي العقائد الوثنية الباطلة للشعوب والملل القديمة؛ فكما يعلم المطَّلِعون كان أهالي مصر القدماء يعتقدون بآلهةٍ مثل الإله «أوزيرِس» وزوجته التي هي أخته في نفس الوقت إلهة الخصوبة: «إيزيس»، فكانوا يؤمنون بآلهة متعددة، ولكن في الوقت ذاته كانوا يؤمنون بالإله «آمون-رَعْ» الذي يعتبرونه أكبر من جميع الآلهة وأبو الآلهة وسيدهم، وبارئ البشر وخالقهم ورب جميع الكائنات. ولكن «أوزيرِس» الذي كان إله الموت، رغم خضوعه للإله العظيم «آمون-رَعْ»، إلا أنه كان أكثر قدرةً من إله الآلهة! وكان له تأثير في الناس أكثر منه! لذا فإن المصريين القدماء كان يذكرون اسم الإله «أوزيرِس» أثناء أخذ العهد والميثاق، أو يوكلون عقاب المخالفين للقوانين أو الخائنين إليه.

وأنتم تعلمون أن شبيه هذه العقيدة يوجد لدى عوام شيعتنا بشأن «أبي الفضل العباس»

أو «الإمامزاده داود» أو «شاه چراغ» وأمثالهم حيث لا يصدِّق الناس القَسَم بالله ولكنهم يصدِّقون القَسَم «بحضرة العباس»! ولا يخافون من انتقام الله ولكنهم يخافون من انتقام «حضرة العباس»! ولا ينذرون لِلَّهِ ولكنهم ينذرون لحضرة العباس، وينذرون لرقيَّة أو سكينة ابنتي الحسين عليهم السلام أكثر مما ينذرون لِلَّهِ!!

هذا في حين أن كتابهم السماوي ينهى بكل صراحة ووضوح في أكثر من مئة آية عن مثل هذه العقائد والأعمال الشركية ويذم فاعليها ويلومهم على اتِّباع مثل هذه الطرق، من ذلك قوله تعالى في سورة «المؤمنون»: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:88-89]، أي لا أحد يستطيع أن يلجأ إلى آخَر كي يُجيره من عقاب الله. ولاحظ أن الآية تبين أن المشركين لما كانوا يُسْأَلُونَ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ؟ كانوا يجيبون على الفور: «الله»! فكَّر اللهُ خيرَ مشركي ذلك الزمن (!) إذ إنهم على الأقل كانوا يجيبون بلا تردد: «الله»! في حين أن كثيراً من أبناء مجتمعنا اليوم قد لا يُحْسِنُونَ مثلَ هذه الإجابة الفورية!. ويقول تعالى في سورة النحل ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل:56] أي كانوا ينذرون لآلهتهم النذورات والأوقاف ويجعلون لهم نصيباً مما رَزَقَهُمُ اللهُ تماماً كما يفعل العوام في عصرنا الذين ينذرون لحضرة العباس وللإمام الرضا!.

إن خوفنا من تلك المسؤولية التي أشارت إليها الآية الأخيرة ﴿ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل:56] هو الذي حملنا على تجشم عناء خوض هذه المباحث في هذا الزمن الذي وجدنا أنفسنا فيه في مجتمع قد انتشر فيه الكفر والبدع والشرك والإلحاد أكثر من أي وقت مضى، متحمِّلين في هذا السبيل التهم والبهتان بل حتى الضرب والقتل، إبراءً لذمتنا أمام رب العالمين، وحتى لا نكون مسؤولين عن أعمال أولئك المفسدين. ولن يهمُّنا في أداء هذا الواجب المقدَّس ما سنتعرَّض له من تكفير وإبعاد أو تهديد الغلاة وأنصارهم، لأنه في ميدان الجهاد كلما كان عددُ الأعداء وعدّتهم أكثر، كان ذلك أدعى للفخر والشموخ ورفع الرأس، ودليلاً على شجاعة المجاهدين الذي يخوضون هذه المعركة وبسالتهم وفدائيتهم، وأن أجرهم

لدى ربهم وإلـــههم سيكون -يقيناً- كبيراً وعظيماً، ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾ [التوبة:111] ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:88].

ونأتي الآن إلى شرح موضوع الغلوّ والغلاة الذين لعَنَهُم الأئمَّةُ الطـــاهرون ســـلام الله عليهم أجمعين، وأعلنوا براءتهم منهم.

براءة أئمة أهل البيت من الغلو ولعنهم الغلاة

كان ظهور الغلاة في دين الإسلام من أكبر الآفات والمصائب القاتلة التي حلَّت بهـذا الدين، وأدَّت إلى إدخال كل تلك الخرافات والأوهام فيه، الأمر الذي شوَّه الوجه النـوراني لحقائق الإسلام.

وقد خشي الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين أكثر من أي أحد آخر مـن هـذا الخطر وحذروا منه المسلمين، ولدينا أحاديث وأخبار كثيرة صدرت عن الأئمة عليهم السلام في مذمّة هؤلاء الغلاة، حيث نجد في كتاب «الرجال» لأبي عمرو الكشِّيّ[9] وحده أكثر من 24 حديثاً في هذا الأمر، وقد جمعها العلامة المامقاني[10] في كتابه «مقباس الهداية في علـم الدراية» (ص 88)، وسنذكر فيما يلي بعضاً منها كما جاءت في كتب الرواية المعتبرة لدى الشيعة:

1- روى الشيخ الطوسي في كتاب «الأمالي» (ص 650) بسنده عن عبد الرحمن بن مسلم، عن فضيل بن يسار، قال قال الصادق عليه السلام: «احذروا على شـبابكم الغُـلاةَ لا يُفْسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ اللهِ، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ اللهِ، وَاللهِ إنَّ الغلاةَ شَرٌّ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمَجُوسِ وَالذِينَ أشْرَكُوا. ثم قال عليه السلام: إلينا يرجع

---

(9) هو أبو عمرو، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي من كبار علماء الشيعة وأقدم رِجَالِيِّيهم في القـرنين الثالـث والرابع الهجريين، ينتسب إلى منطقة «كش» من نواحي سمرقند (في آسيا الوسطى)، لم يعـرف تـاريخ ولادتـه بالضبط. قال عنه النجاشي: ﴿ كان ثقة عين، روى عن الضعفاء كثيراً وصحب العياشي وأخذ عنه، تخرج عليه في داره التي كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم ﴾ اهـ، وكان الكشيّ صديقاً للكُلَيْنِيُّ صاحب «الكافي». قيل إن وفاته كانت في حدود سنة 350 هـ، ويُعتَبَر كتاب الكشيّ الذي سماه ابن شهر آشوب في المعالم بـ "معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين" أحد الأصول الأربعة الرجالية لدى الإمامية. (المترجم)

(10) هو الفقيه الإمامي وأحد أبرز مراجع الشيعة في عصره آية الله الشيخ عبد الله المامقاني (1290هـ - 1351 هـ)، أُطْلِق عليه لقب «العلامة الثاني»، وهو صاحب «تنقيح المقال في أحوال الرجال» الذي يعتبر أحد أهم كتب علم الرجال في القرن الماضي إذْ جمع فيه كل ما دُوّنَ في الكتب الرجالية التي سبقته (المترجم)

الغالي فلا نقبله، وبِنَا يلحقُ المقصِّر فنقبله. فقيل له كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج، فلا يقدر على ترك عادته، وعلى الرجوع إلى طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ أبداً، وإن المقصِّرَ إذا عرف عمل وأطاع.».

2- وروى العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» (ج 34/ص 362) (نقلاً عن كتاب الغارات للثقفي[11] قال: «عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ نَاجِدٍ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ فَقَالَ: إِنَّ فِيكَ مِنْ عِيسَى مَثَلًا أَبْغَضَتْهُ اليَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهُ.

(ثم قال عليٌّ عليه السلام): أَلَا وَإِنَّهُ يَهْلِكُ فِيَّ مُحِبٌّ مفرطٌ[12] يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي، أَلَا إِنِّي لَسْتُ نَبِيًّا وَلَا يُوحَى إِلَيَّ وَلَكِنِّي أَعْمَلُ بِكِتَابِ اللهِ مَا اسْتَطَعْتُ فَمَا أَمَرْتُكُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فَحَقٌّ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وفِيمَا كَرِهْتُمْ، وما أمرتكم به أو غيري من معصية الله فلا طاعة في المعصية، الطاعة في المعروف، الطاعة في المعروف، (قالها) ثلاثاً»[13].

قلتُ: ونقل الشريف الرضي في «نهج البلاغة» نحو ذلك عن الإمام عليٍّ فقال: وقال عليه السلام: «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وبَاهِتٌ مُفْتَرٍ»، ثم قال الرضيّ: وهذا مثل قوله

---

(11) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الأصفهاني، من كبار علماء الشيعة ويُعَدُّ من رواة حديثهم. ولد في الكوفة في أوائل القرن الهجري الثالث وكان في بداية عمره زيدي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية الإثنا عشرية، وتوفي في مدينة أصفهان عام 283 هـ. (المترجم)

(12) في كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي: مُحِبٌّ مُطْرٍ. (المترجم)

(13) انظر إبراهيم بن محمد الثقفي، «الغارات»، ط1، دار الكتاب، 1410هـ، ج2/ص 401- 402 -403. وهذه الرواية أخرجها بتمامها من أهل السنة: عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في زوائده على مسند الإمام أحمد، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، وأبو نُعَيم في فضائل الصحابة، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والبزار في مسنده (جزء منها). وانظر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه/باب فيمن يفرط في محبته وبغضه)، والمتقي الهندي في «كنز العمال» (ج11/ص623، ج13/ص 125). (المترجم)

(عليه السلام): «هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ غَالٍ ومُبْغِضٌ قَالٍ﴿14﴾»[15].

3- وروى الشيخ الصدوق في كتابه «اعتقادات الإمامية» (المعروف باعتقادات الشيخ الصدوق) الرواية التالية، قال:

«وكان الرضا عليه السلام يقول في دعائه: اللهم إني بريء من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادَّعوا لنا ما ليس لنا بحقّ. اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا. اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين. اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لك فالعن النصارى الذين صغَّروا عظمتك والعن المضاهئين لقولهم من بريتك. اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولاحياةً ولا نشوراً. اللهم مَنْ زَعَمَ أنَّا أربابٌ فنحنُ منه بَراءٌ ومَنْ زَعَمَ أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براءٌ منه كبراءة عيسى ابن مريم عليه السلام من النصارى. اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما يدَّعُون ولا تَدَعْ على الأرضِ منهم دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً»[16].

4- وروى الشيخ الطوسي في «الأمالي» (ص 650) بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللهم إني بريءٌ من الغُلاةِ كبراءةِ عيسى ابنِ مريم من النصارى، اللهمَّ اخْذُلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً.».

5- وروى الكشي في رجاله (ص 298 - 299) بسنده عن حمدويه، قال حدثنا

---

(14) قوله ﴿ محبٌّ غالٍ ﴾ الغالي هو المتجاوز للحدّ في حبِّه أي الذي يبالغ في حب الإمام حتى يخرجه عن البشرية ويضفي عليه الصفات الإلهية أو يقول بحلول اللاهوت فيه ونحو ذلك، وقوله: ﴿ مبغضٌ قالٍ ﴾: القالي هو المبغض شديد البغض. (المترجم)

(15) نهج البلاغة، جمع وتدوين الشريف الرضي، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، بيروت: دار الكتاب اللبناني، باب حكم أمير المؤمنين عليه السلام، رقم 469، ص 558. (المترجم)

(16) الشيخ الصدوق، «اعتقادات الإمامية»/باب الاعتقاد في نفي الغلو والتفويض، ص74. (المترجم)

يعقوب، عن ابن أبي عمير، عن عبد الصمد بن بشير، عن مصادف قال: «لما لبَّى القوم الذين لبُّوا بالكوفة[17] دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرتُهُ بذلك، فَخَرَّ ساجداً وألْزَقَ جؤجؤَهُ بالأرض وَبَكَى، وَأقبل يلوذُ بإصبعه ويقول: بَلْ عَبْدُ اللهِ قِنٌّ[18] داخرٌ[19] مراراً كثيرةً، ثم رفع رأسه ودموعُهُ تسيلُ على لحيته، فندمتُ على إخباري إيّاه، فقلتُ جُعِلْتُ فِداكَ! وما عليك أنت من ذا؟ فقال: يا مصادف! إن عيسى لو سكتَ عما قالت النصارى فيه لكان حقّاً على الله أن يصمَّ سمعه ويعمىَ بصره، ولو سَكَتُّ عمَّا قال فيَّ أبو الخطاب لكان حقّاً على الله أن يصمَّ سمعي ويُعمىَ بصري».

6- وروى الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا» (ج 2/ص 203) بسنده عن أبي هاشم الجعفري قال: سألتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة؟ فقال: «الغلاةُ كفَّارٌ والمفوِّضةُ مشركون، مَنْ جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوَّجهم أو تزوَّج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدَّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وولايتنا أهل البيت.».

والعجب أن الأمر أصبح في زماننا على عكس ما تفيده هذه الرواية الشريفة، إذْ أصبح من لا يقول بأقوال الغلاة فلا يُثْبِتُ للأئمَّة الولايةَ التكوينيةَ وتصرُّفهم في تدبير الكون، يُعْتَبَرُ ناقص الولاية، بل يُعْتَبَرُ سُنِّيّاً ووَهَّابِيّاً، بل يُعْتَبَرُ أسوأ من النواصب!!

اللهم إننا مبتلون اليوم بأناسٍ نبرأ إليك من كفرياتهم وشركياتهم كما كان أئمتنا يبرؤون منهم، ونُشْهِدُكَ أننا لا نعتبر أئمَّتَنا سوى هداة إلى طريق الله ورُوَاة صادقين لحديث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وندعو بدعاء الإمام الرضا عليهم السلام «رَبَّنَا لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ

---

(17) أي قالوا: لبيك يا جعفر، أي فألَّهُوا الإمام جعفر الصادق عليه السلام. (المترجم)

(18) القِنُّ هو المتمِّحض في العبودية والرق. وقيل: القِنُّ من العبيد الذي مُلِكَ هُوَ وَأَبَوَاهُ. (المترجم)

(19) داخرٌ: أي خاضعُ لِـلَّهِ مُنْقادٌ لَهُ ، من دَخَرَ الرجلُ، يَدْخَرُ دُخُوراً، فهو دَاخِرٌ، ذَلَّ وصَغُرَ يَصْغُرُ صَغَاراً، وهو الذي يفعل ما يؤمر به، شاءَ أَو أَبى صاغِراً قَمِيئاً. ومنه الآية: أَو لم يروا إِلى ما خلق الله من شيء يَتَفَيَّأُ ظلاله عن اليمين والشمائل سُجَّداً لِـلَّهِ وهم داخرون؛ أي خاضعون لِـلَّهِ مُنْقَادُون لَهُ. (المترجم)

دَيَّاراً»!.

7- وروى الكشيُّ أيضاً في رجاله (ص 108) عن عمير عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة الثمالي، قال، قال علي بن الحسين عليه السلام: «لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبإ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادَّعَى أمراً عظيماً، ما له لعنه الله؟ كان عليٌّ عليه السلام واللهِ عبداً لِلَّهِ صالحاً، أخو رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ)، ما نال الكرامةَ مِنَ الله إلا بطاعته لِلَّهِ ولرسوله، وما نال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) الكرامةَ مِنَ الله إلا بطاعته.».

قلتُ: إن هذا الكلام للإمام زين العابدين عليه السلام حَجَرٌ في فم آيةِ الله الغالي أبي الفضل النبوي الذي قال في الصفحة 24 من كتابه «امراء هستي» (أمراء الكون) «إن الكمال النهائي من ناحية الولاية التي كانت لأهل بيت العصمة نابعٌ من طينتهم التي هي نورٌ محضٌ فهي كمال ذاتيٌّ وهبيٌّ وليست كمالاً كسبيًّا!».

ويقول في الصفحة 30 من كتابه أيضاً: «خلافاً لأولياء الله الذين يصلون إلى هذا المقام والمرتبة بواسطة السعي والسلوك والرياضة والمجاهدات وطي المراحل الابتدائية، فإن ذلك المقام للأئمة هبةٌ إلهيّةٌ وُهِبَتْ لَهُمْ ووُضِعَتْ فيهم منذ بدء وجودهم طبقاً للتقدير والمشيئة السبحانية!».

وأقول: إن هؤلاء العلماء الغلاة لما ابتعدوا عن الصراط المستقيم وعن طريق العقل والقرآن الكريم، استمسكوا بكل عقيدة موهومة وحديث مختلق لإثبات مدّعاهم، من ذلك تمسكهم برواية ملفَّقة تذكر أن عليّاً بادر إلى قراءة آياتٍ من القرآن الكريم عقب ولادته وهو لا يزال رضيعاً في المهد![20]، هذا مع أن القرآن ما نزل على نبي الإسلام إلا بعد 12 سنة من ولادة عليٍّ عليه السلام، وحتى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لم يكن له علم به، كما قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ

(20) انظر الرواية في بحار الأنوار، ج35/ص37-38. (المترجم)

لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف:3] وكما قال في موضع آخر أيضاً: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:49]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:48]، وقال كذلك: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:52].

فهذه الآيات تبين بصراحة عدم اطلاع النبي على القرآن قبل أن يوحى به إليه، وعدم علمه بأنبائه وأخباره.

ولكن أولئك الغلاة الضالون يريدون نسف كل تلك الآيات بحديث هراء باطل أسطوري، لا يعلمُ أحدٌ أيُّ غالٍ عديم الإيمان أو عونٍ من أعوان الشيطان اخترعه وافتراه، رواه «ابن الفتّال»[21] في كتابه «روضة الواعظين»، عند حديثه عن موضوع ولادة الإمام علي عليه السلام، فنسبَ فيه إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قوله: «.... ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة عليٍّ فقال لي: يا حبيبَ اللهِ! اللهُ يقرأ عليك السلامَ ويهنِّئك بولادة أخيك عليٍّ..... فقمت مبادراً فوجدت فاطمة بنت أسد، أمّ عليّ، وقد جاءها المخاض وهو بين النساء والقوابل حولها..... (إلى قوله) ثم قال لي جبرئيل: امدد يدك يا محمّد! فإنه صاحبك اليمين! فمددت يدي نحو أمه فإذا بعليٍّ مائلاً على يدي واضعاً يده اليمنى في أذنه اليمنى وهو يؤذّن ويقيم بالحنفية ويشهد بوحدانية الله عزَّ وجل وبرسالتي!»[22]،

هذا مع أن الأذان إنما نزل بعد الهجرة إلى المدينة! ويتابع الحديث حتى يصل إلى القول:

---

(21) هو محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي الفتال النيشابوري المعروف بابن الفتال، من علماء الشيعة الإمامية في القرن الخامس الهجري. من مشايخه شيخ الطائفة الشيخ الطوسي والسيد المرتضى علم الهدى، ومن تلامذته ابن شهرآشوب المازندراني. من أشهر مؤلفاته «روضة الواعظين وبصيرة المتعظين» وهو من مصادر بحار الأنوار وطبع مراراً في إيران والعراق. توفي ابن الفتال مقتولاً سنة 508هـ. (المترجم).

(22) ابن الفتال، «روضة الواعظين»، قم: دار الرضيّ للنشر، بدون تاريخ، وذكر فيه أنه صُوِّرَ طبقاً لنسخة طبعت سنة 1386هـ في النجف الأشرف، ج 1/ ص 83-84. (المترجم).

«ثم قال لي (عليٌّ المولود حديثاً): يا رسول الله! أقرأُ؟ قلتُ: إقرأْ! فو الذي نفسُ محمَّد بيده لقد ابتدأ بالصُّحف التي أنزلها الله عز وجل على آدم فقام بها شيثٌ فتلاها من أول حرف فيها إلى آخر حرف فيها حتى لو حضر بها شيث لأقرَّ له أنه أحفظ له منه! ثم قرأ توراة موسى حتى لو حضره موسى لأقرَّ بأنه أحفظ لها منه! ثم قرأ زبور داود....! ثم قرأ إنجيل عيسى...، ثم قرأ القرآن الذي أنزله الله عليَّ من أوله إلى آخره فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة!!...الخ الحديث الطويل المليء بالأباطيل»[23].

فانظر أيها القارئ اللبيب في أي واد من وديان الغلوِّ يقع الإنسانُ الذي يصدِّق بمثل هذا الحديث الكاذب، وفي أي حفرة من الضلالة التي لا إمكان للنجاة منها، يسقط!

ولما كان متن هذا الحديث الخرافي يخالف صريح القرآن الكريم ويناقض العقل والوجدان والتاريخ، فإننا في غنى عن البحث في سنده وبيان ضعفه، إذْ إنه على درجة من البطلان والهراء يخجل معها الإنسان من مجرد ذكره وبيان كذبه.

مع أن ذلك الحديث المفترى يناقض ما رواه ابن الفتال نفسه في كتابه ذاته من أن علياً إنما وُلِدَ داخل الكعبة[24]، هذا ويذكر ابن الفتال رواياتٍ غريبةٍ أخرى مليئةٍ بالترَّهات حول رجلٍ عابدٍ راهبٍ يُقَال له «المثرم بن رعيب بن الشيقنام»!! وكيف أن أبا طالب ذهب إليه و...و... إلى آخر تلك الموهومات التي بمعزل عن سندها الذي فيه رواةٌ مجهولون وغلاةٌ، مَتْنُها على درجة من التهافت والبطلان تكفي لتشهد بأنه افتراء محض من نسج خيال قصاصين وضّاعين حمقى.

و روايات ابن الفتال هذه متناقضة تجعل الذي يقرأها لا يدري في النهاية هل وُلِدَ عليٌّ داخل الكعبة، أم وُلِدَ في بيت أبي طالب؟؟ وهل كانت قابلةُ عليٍّ حوريةٌ من نساء الجنَّة أم كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نفسه؟!

---

(23) المصدر السابق.

(24) ابن الفتال، «روضة الواعظين»، ج1/ص 81. (المترجم).

إن أولئك الغلاة الحمقى يظنون أن مثل تلك الروايات التي تشبه أضغاث أحلامٍ لا يُعرف أولها من آخرها هي من فضائل المولى أمير المؤمنين عليه السلام! إنهم يريدون أن يثبتوا استناداً إلى تلك الترَّهات الباطلة والخرافية موضوع تصرُّف عليّ في الكون والمكان!!؟

ما هي نتيجة قبول مثل تلك الروايات؟ إنها لن تكون سوى القول بأن قراءة عليٍّ للقرآن حين ولادته وقبل بعثة رسول الله بعدة سنوات، إن لم تدل على إلهية عليٍّ وعلمه بكل شيء، فعلى الأقل ستدلُّ على أن علياً – والعياذ بالله – أفضل وأعلم من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)!! لأن القرآن الكريم بين لنا عدم اطلاع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) جنباً إلى جنب عدم اطلاع قومه على أخبار القرآن ومطالبه، فيقول تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:49]، والقول بأفضلية عليٍّ على رسول الله أو مساواته له في الفضل كفرٌ. وأصلاً لو قرأ عليٌّ كل آيات القرآن على رسول الله – كما تدعي تلك الرواية الخرافية – فإن رسول الله سيكون قد سمع من عليٍّ آيات حادثة الإفك في سورة النور التي تبيِّن تزكية وطهارة أم المؤمنين عائشة، وبالتالي تكون براءة عائشة قد أصبحت مسلَّمة له، فلماذا إذن تلك الحيرة والتفكير الذي وقع به رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لما سمع ذلك الموضوع؟! ولماذا إذن اقترح عليٌ على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طلاق عائشة في تلك الحادثة؟ ولماذا استوضح رسول الله خادمة عائشة عن الأمر؟!. ومئات القضايا الأخرى التي يتضمنَّها القرآن، والتي لم يكن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يدري بها قبل أن تقع خلال سيرته.

وإذا تركنا كل ذلك جانباً، فإننا نسأل ما هي الفائدة من صدور كل تلك الأعمال العجيبة من عليٍّ حين ولادته والتي لا بد أنها تعتبر معجزات؟ لماذا كان عليٌّ يظهر تلك المعجزات للنبيّ؟ أكان النبي منكراً لفضائل عليٍّ فأراد عليٌّ أن يبينها له؟!! فبالله عليكم أيها القراء الكرام هل هناك أحمقٌ فضلاً عن عاقل يمكنه أن يقبل بمثل تلك المطالب أو يستند إلى مثل تلك الأوهام لإثبات عقيدةٍ ما؟!

وقد ذكر المجلسي في «بحار الأنوار» أيضاً حديثاً طويلاً مفصَّلاً قريباً من هذا المعنى نقلاً

عن كتاب «الأمالي» للشيخ أبي جعفر الطوسي جاء فيه أنَّه بعد ولادة عليٍّ وعودة أمِّه إلى بيتها عزمَ نبيُّ اللهِ محمّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على الذهاب إلى بيت أبي طالب لرؤية الوليد الجديد، فذهب ولما: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَلَمّا دَخَلَ اهتز له أمير المؤمنين عليه السلام وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته!. قال: ثم تنحنح بإذن الله تعالى وقال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُون. إلى آخر الآيات. فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): قد أفلحوا بك وقرأ تمام الآيات إلى قوله: أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أنتَ والله أميرُهُم... الحديث»[25].

ويُقال في هذه الرواية الموضوعة ما قيل في سابقتها من أن متنها مخالفٌ لصريح آيات القرآن التي تؤكد أنه لم يكن للنبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ولا لقومه، أيُّ علمٍ بالقرآن الكريم قبل نزوله، هذا فضلاً عن أن سند الرواية رواةٌ غلاةٌ وضَّاعون.

نسأل الله تعالى أن يحمينا وجميع المسلمين من أمثال تلك الموهومات والخرافات وأن ينجينا من شرِّ الغلاة الذين هم من أسوأ الآفات، ويهدينا إلى الدين الصحيح والصراط الإلهي المستقيم الذي هو دين الإسلام واتّباع القرآن.

أجل، لقد آذى أولئك الغلاة سيدنا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كثيراً حتى لعنهم وتبرأ منهم مراراً وإليكم الحديث التالي حول ذلك:

8- روى الكشي في رجاله قال أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة ومما وقع عبد الله بن حمدويه البيهقي وكَتَبْتُهُ من رقعته: «أن أهل النيسابور قد اختلفوا في دينهم وخالف بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً وبها قومٌ يقولون إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) عرف جميع لغات أهل الأرض ولغات الطيور وجميع ما خلق الله وكذلك لا بد أن يكون في كل زمان من يعرف ذلك ويعلم ما يضمر الإنسان ويعلم ما يعمل أهل كل بلاد في بلادهم ومنازلهم، وإذا

---

(25) الملا محمد باقر المجلسي، «بحار الأنوار»، ج35/ص37-38. (المترجم).

لقي طفلين فيعلم أيهما مؤمن وأيهما يكون منافقاً، وأنه يعرف أسماء جميع من يتولاه في الدنيا وأسماء آبائهم وإذا رأى أحدهم عرفه باسمه من قبل أن يكلمه. ويزعمون جُعِلْتُ فِداكَ أن الوحي لا ينقطع والنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لم يكن عنده كمال العلم ولا كان عند أحد من بعده وإذا حدث الشيء في أي زمان كان و لم يكن علم ذلك عند صاحب الزمان أوحى الله إليه وإليهم! فقال: كذبوا لعنهم الله وافتروا إثماً عظيماً»[26].

وأقول: إن هذا التوقيع واللعن والبراءة تشمل كل من يعتقد بالإمام أو النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مثل تلك العقائد المغالية، كيف لا وقد ضل كثير من عامة الناس بل خاصتهم وبعض المتسمِّين بآيات الله العظمى منهم(!) (كأبي الفضل النبوي) بسبب تلك الأحاديث الكاذبة التي وضعها الغلاة ونجدها في ثنايا كتب مثل كتاب «بصائر الدرجات» لمحمد بن الحسن الصفار (290 هـ) أو كتاب «الكافي» للكُلَيْنِيّ (329 هـ)، وغيرها.

9- وفي رجال الكشي أيضاً (ص 196)[27] عن الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن الحسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، قال، قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه: «لعنَ الله المغيرةَ بنَ سعيدٍ ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق إن المغيرة كذبَ على أبي عليه السلام فسلبه الله الإيمان، وإن قوماً كذبوا عليَّ ما لهم أذاقهم الله حرَّ الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيدُ الذي خلقنا واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع إن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة وإنا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون، ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي (صلوات الله عليهم)، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً، يأمنون وأفزع وينامون

---

(26) انظر بحار الأنوار: ج 25/ص 161- 162. (المترجم)

(27) وهي في نسخة رجال الكشي، طبع مؤسسة النشر في جامعة مشهد/إيران، 1348 هـ في ص: 225 - 226. (المترجم)

على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل، أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله مما قال في الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا يقبلوه فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً أستعدي اللهَ عليهم، وأتبرَّأُ إلى الله منهم، أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وما معي براءة من الله، إن أطعته رَحِمَني وإن عصيته عذَّبني عذاباً شديداً أو أشدَّ عذابه.».

وأقول: انظروا كيف كذَّب الإمام الصادق عليه السلام بتلك العبارات الواضحة الصريحة كل تلك الترَّهات والأكاذيب التي ينسبها إليه الغلاة، والتي لا يزال بعض غلاة عصرنا يعتقدون بمثلها بحق الإمام الصادق وشفاعته والتوسل به!.

ولا غرو أن يقول الإمام الصادق ما قاله فقد جاء في كتاب الله العزيز إنذارٌ لجدِّه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر:65]، هذا بعد أن ينقل القرآن الكريم لنا عن لسان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام:15]، ومثلها في سورة يونس/ آية 15، وسورة الزمر/آية 13. فيحق للصادق أن يكون كذلك أيضاً لأنه ليس بين الله تعالى وبين أحد من خَلْقِهِ – مهما علت منزلته – نسبٌ ولا قرابةٌ، ولن ينجيه إلا عَمَلُهُ ورحمةُ ربِّه، ألم يقل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء:123-124].

إن ذلك الحديث الذي أوردناه عن الإمام الصادق عليه السلام يبيِّن براءته من مقالات الغلاة التي كان غلاة عصره ينشرونها وخلَّفوها للأسف للأجيال اللاحقة حتى تلقَّفها منهم غلاة عصرنا، ألا لعنةُ الله عليهم لعناً وبيلاً.

10 - روى الكشيّ في رجاله (ص 254)[28] كذلك عن محمد بن مسعود، قال حدثني عبد الله بن محمد بن خالد، عن علي بن حسان، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ذُكِرَ عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب، فقيل إنه صار إلى بيروذ، وقال فيهم وهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وفِي الْأَرْضِ إِلهٌ، قال: هو الإمام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا والله لا يأويني وإياه سقفُ بيتٍ أبداً، هم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغَّر عظمةَ الله تصغيرهم شيء قط، إن عُزَيْراً جال في صدره ما قالت فيه اليهود فمحا الله اسمه من النبوة، والله لو أن عيسى أقرَّ بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فيَّ أهلُ الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبدٌ مملوكٌ لا أقدر على شيء ضرٍّ ولا نفع.».

أقول: ولِنُدَقِّق في جملة «فمحا الله اسمه من النبوة» ففيها معنىً دقيق وعال، إذ إنها تبين عدم صحة تلك العصمة الوهبية المطلقة التي يدعيها المغالون بالأئمة وتبعاً لذلك بالأنبياء والرسل، لأن عزيراً قد مُحي اسمه من سجل الأنبياء لمجرد أنه جال في ذهنه أو تصور أن يكون له مثل ذلك المقام، فلا عصمة على ذلك النحو الذي يقولونه، حتى لو أن عيسى بن مريم أقرّ - والعياذ بالله - بما قالته النصارى بحقِّه لفعل الله تعالى به كذا كذا، كما جاء في الرواية.

11- ويذكر الطبرسي[29] في كتابه «الاحتجاج» (ج 2/ص 439) روايةً عن الإمام الرضا عليه السلام كما يلي: «فقام إليه رجل فقال: يا ابن رسول الله! صف لنا ربك فإنَّ مَنْ قَبْلَنَا قد اختلفوا علينا! فوصفه الرضا عليه السلام أحسن وصف ومجَّدَه ونزَّهَه عمَّا لا يليق به تعالى. فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! فإنَّ معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أن هذه كلُّها من صفات عليٍّ عليه السلام وأنه هو الله رب العالمينّ! قال فلما سمعها الرضا عليه السلام ارتعدت فرائصه وتصبَّبَ عرقاً وقال: سبحان الله عمّا يشركون! سبحانه عمّا

---

(28) وفي نسخة طبعة جامعة مشهد المحققة: ص 300 - 301. (المترجم)

(29) هو الشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، لا يُعرف تاريخ ولادته أو وفاته بدقة، وكل ما يُعرف عنه أنه من علماء القرن السادس الهجري ومن معاصري أمين الإسلام الطبرسي (548 هـ) صاحب تفسير "مجمع البيان" الشهير، وكلا الطبرسيين من مشايخ ابن شهر آشوب المازندراني المتوفى سنة 588هـ.

يقول الكافرون علوّاً كبيراً! أوليس عليٌّ كان آكلاً في الآكلين وشارباً في الشاربين وناكحاً في الناكحين ومحدثاً في المحدثين وكان مع ذلك مصلياً خاضعاً بين يدي الله ذليلاً وإليه أوَّاهاً منيباً؟ أفمن هذه صفته يكون إلهاً؟؟ فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحدٌ إلا وهو إلهٌ لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدوث كل موصوف بها! فقال الرجل: يا ابن رسول الله! إنهم يزعمون أن علياً لما أظهر من نفسه المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله دلَّ على أنه إلهٌ، ولما ظهر لهم بصفات المحدثين العاجزين لبَّس ذلك عليهم وامتحنهم ليعرفوه وليكون إيمانهم اختياراً من أنفسهم! فقال الرضا عليه السلام: أوَّلُ ما هاهنا أنهم لا ينفصلون ممن قلب هذا عليهم فقال: لَمَّا ظهر منه الفقر والفاقة دلَّ على أنَّ مَنْ هذه صفاته وشاركه فيها الضعفاء المحتاجون لا تكون المعجزات فعله، فَعُلِمَ بهذا أن الذي أظهره من المعجزات إنما كانت فعل القادر الذي لا يشبه المخلوقين لا فعل المحدث المشارك للضعفاء في صفات الضعف.».

12 – وذكر الكشي في رجاله روايةً أخرى في هذا المجال فقال: «وبهذا الإسناد، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن ابن أبي نجران، عن عبد الله، قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: إنا أهل بيت صدِّيقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أصدق الناس لهجة وأصدق البريّة كلها، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدقَ من بَرَأَ اللهُ بعدَ رسولِ اللهِ، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفتري على الله الكذب عبد الله بن سبإ.» ثم تابع الكشيّ قوله: «ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبإ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في علي عليه السلام مثل ذلك، وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية!» انتهى كلام الكشّي[30].

13– وروى الصدوق في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» بسنده عن أبي عن الحسن

---

(30) رجال الكشي، ص 100 في الطبعة القديمة، أو ص 108 – 109 في طبعة جامعة مشهد. (المترجم)

بن أحمد المالكي عن أبيه عن إبراهيم بن أبي محمود قال قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله! إن عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عنكم أفندين بها؟؟ فقال: يا ابن أبي محمود! لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال: مَنْ أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.

ثم قال الرضا عليه السلام: «يا ابن أبي محمود! إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة أحدها الغلو وثانيها التقصير في أمرنا وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة.»[31].

قلتُ: فانظروا أيها القراء الكرام كيف يحذِّر الإمام عليه السلام ويخوِّف حتى من الذي يقول عن الحصاة نواة ويجعل ذلك الافتراء دينه، ومثله الذي يقول عن إنسان إنه فوق إنسان، وعن بشرٍ إنه ملاكٌ، فما بالك بمن يقول عن بشر إنه يعمل أعمال الله تعالى؟!

14- روى الشيخ الصدوق في «الخصال» (ص 63، المطبعة الإسلامية) بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: «أَدْنى ما يخرُجُ به الرجلُ عن الإيمان أن يجلس إلى غالٍ فيستمع إلى حديثه ويصدِّقُهُ على قوله، إن أبي حدَّثني عن أبيه عن جدِّه عليه السلام أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام، الغُلاةُ والقدرِيَّةُ.».

---

(31) الشيخ الصدوق، «عيون أخبار الرضا»، ج1/ص 304.

15- وروى المجلسي في بحار الأنوار (ج 65/ص 167) نقلا عن الكشي في رجاله عن خالد بن حماد عن الحسن بن طلحة رفعه عن محمد بن إسماعيل عن علي بن زيد الشامي قال قال أبو الحسن (أي الإمام الرضا) عليه السلام قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما أنزل الله سبحانه وتعالى آيةً في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع[32]!».

وهذه الرواية نقلها العلامة المامقاني أيضا في كتابه «مقباس الهداية» (ص 89).

(32) قوله ﴿ ينتحل التشيُّع ﴾ أي ينتسب إليه زوراً وكذباً، من النِّحلة، قال ابن منظور في لسان العرب: ﴿ والنِّحْلةُ: الدَّعْوَى. وانْتَحَل فلانٌ شِعْر فلانٍ، أَو قالَ فلانٍ إذا ادّعاه أَنه قائلُه. وتَنَحَّلَه: ادَّعاه وهو لغيره. ﴾ [المترجم)

تمكُّن الغلاة من دسّ كثير من أخبار الغلوّ بين الآثار الصحيحة المروية عن الأئمة

رغم كل تلك الأحاديث التي وردت في ذمّ الغلاة نشأت عديد من المذاهب الباطلة باسم الشيعة مثل فرقة الكَيْسانيَّة والإسماعيلية والحبّانية والهاشمية والرزاقية والفطحية والسمطية والناووسية والواقفية والخطابية والبيانية والمخمِّسَة والعليائية والنُّصَيْريَّة والشريفية والمفوِّضة وأمثالها... وللاطلاع المفصَّل عليها يجب الرجوع إلى كتب الملل والنحل، هذا رغم أنه لم يبق اليوم من كل تلك الفرق الغالية إلا فرقة الإسماعيلية (وتفرُّعَاتها) والنصيريَّة. إلا أن آثار وأقوال تلك الفرق الغالية بقيت بين الشيعة ووجدت طريقها إلى كتب أخبارهم وأحاديثهم التي اختلطت فيها الروايات الصحيحة بآثار وأقوال تلك الفرق. ومَرَدُّ ذلك إلى أن اختلاط وامتزاج تلك الفرق الشيعية القديمة بعضها ببعض كان أمراً حتميَّاً لا يمكن اجتنابه، فكثيرٌ من رجال الشيعة أمضَوا فترات من حياتهم أتباعاً لمذاهب مختلفة وأخيراً اهتدوا إلى المذهب الحق، أو انصرفوا عن المذهب الحق واتبعوا مذاهب باطلة، مثل «المعلَّى بن خُنيس» الذي كان ــ حسب ما روي ــ مغيريّ المذهب، أي من أصحاب المغيرة بن سعيد الذي لعنه الإمام الصادق عليه السلام كما مرَّ، ثم اعتنق دعوة محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وأُخِذ بتلك التهمة وقُتِل استناداً إليها. هذا الشخص اعتبره الشيخ الطوسي من أصحاب حضرة الإمام الصادق عليه السلام وقد روى المعلّى فعلاً أحاديثَ عن الإمام الصادق. وتوجد أمثلةٌ عديدةٌ أخرى لأشخاص كانوا من قبل من أتباع بعض الفرق الباطلة ثم اهتدوا أخيراً إلى المذهب الحق أو بالعكس.

إضافةً إلى ذلك فإن أصحاب المذاهب الباطلة كانوا يسعَون إلى تلويث المذهب الحق

بعقائدهم[33].

وجاء في كتاب رجال الكشّيّ (ص196)[34] عن يونس عن هشام بن الحكم أنه سمعَ

---

(33) للشيخ هاشم معروف الحسني في كتابه «الموضوعات في الآثار والأخبار» كلام ممتاز يؤيد تماماً ما يذكره المؤلِّف هنا حيث يقول: [[فقد كان من أخطر الدخلاء على التشيع جماعة تظاهروا بالولاء لأهل البيت، وانْدَسُّوا بين الرواة وأصحاب الأئمة (عليهم السلام) مدَّةً طويلةً من الزمن استطاعوا خلالها أن يتقربوا من الإمامين الباقر والصادق واطمأن إليهم جمع من الرواة فوضعوا مجموعة كبيرة من الأحاديث ودسُّوها بين أحاديث الأئمة وفي أصول كتب الحديث، كما تشير إلى ذلك بعض الروايات، وقد اشتهر من هؤلاء محمد بن مقلاص الأسدي الذي يكنِّيه الشهرستاني بأبي زينب، والمقريزي بابن أبي ثور، والمغيرة بن سعيد، ويزيع بن موسى الحائك، وبشار الشعيري، ومعمر بن خيثم، والسري وحمزة اليزيدي وصائد الهندي، وبيان سمعان التميمي، والحرث الشامي، وعبد الله بن الحرث وغير هؤلاء ممن لا يسعنا استقصاؤهم، وكان بشار الشعيري وحمزة اليزيدي ومعمر بن خيثم وبيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد من دعاة الإلحاد والغلو، فلقد ادعى بشار بأن علياً هو الإله، وقال بالتناسخ، وجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال لِمَرْزِام وكان جاراً لبشار، قال له: إذا قدمت الكوفة فقل له: يقول لك جعفر: يا فاسق يا كافر يا مشرك أنا بريء منك! قال مرزام: فلما قَدِمْتُ الكوفةَ بلَّغْتُهُ الرسالةَ، فقال بشار: وقد ذكرني سيدي؟ قال نعم ذكرك بهذا، فقال له جزاك الله خيراً. وأما معمر بن خثيم فقد أحلَّ جميع المحرمات، وأما حمزة فكان يدعي بأن أبا جعفر يأتيه بالوحي في كل ليلة، وأما بيان فلقد ادَّعى النبوة بعد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأما المغيرة بن سعيد فلقد ادعى النبوة وكان أكثرهم أتباعاً لأنه كان يستعمل السحر والشعبذة والأساليب التي تضلل البسطاء المغفلين.

وجاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: ﴿ كان بيان يكذب على علي بن الحسين فأذاقه الله حر الحديد، وكان المغيرة يكذب على أبي جعفر الباقر، وكان محمد ابن فرات يكذب على أبي الحسن موسى بن جعفر، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله الصادق ﴾.

وجاء عن يحيى بن عبد الحميد الحماني: أن جعفر بن محمد (أي الإمام الصادق عليه السلام) كان رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً فاكتنفه قومٌ جهال يدخلون عليه ويخرجون يقولون: حدَّثنا جعفر بن محمد، ويحدِّثون بأحاديث منكرة كلها كذب على الإمام جعفر بن محمد يستأكلون بها الناس، كالمفضَّل بن عمر وبيان وعمر النبطي وغيرهم من الوضَّاعين ونسبوا إليه أنه قال: إن معركة الإمام تكفي عن الصلاة والصيام، وأن علياً في السحاب يطير مع الريح، وأن اللهَ إلهُ السماء والإمامَ إلهُ الأرض، إلى غير ذلك من المقالات.

وتؤكد المرويات الصحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة أن المغيرة بن سعيد وبياناً وصائد الهندي وعمر النبطي والمفضل وغيرهم من المنحرفين عن التشيع والمندسين في صفوف الشيعة وضعوا بين المرويات عن الأئمة عدداً كبيراً في مختلف المواضيع.

وجاء عن المغيرة أنه قال: وضعتُ في أخبار جعفر بن محمد اثني عشر ألف حديث!، وظلَّ هو وأتباعه زمناً طويلاً بين صفوف الشيعة يترددون معهم إلى مجلس الأئمة (عليهم السلام) و لم ينكشف حالهم إلا بعد أن امتلأت أصول كتب الحديث الأولى بمروياتهم كما تشير إلى ذلك رواية يحيى بن عبد الحميد السابقة.]] (المترجم).

(34) وهو في ص 225 من طبعة مشهد. (المترجم)

حضرةَ الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «كان المغيرةُ بن سعيد يتعمَّد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة فكان يدسُّ فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثُّوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلوّ فذاك ما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم.».

قلت: فمن هنا نعلم منشأ ومصدر مثل تلك الأحاديث الخرافية الغالية ومن الذين كانوا يضعونها ويبثُّونها بين المسلمين.

ومن الجهة الأخرى كان عوام الشيعة لشدّة حبّهم وتعلّقهم بأهل بيت النبوّة، أهل بيت العصمة والطهارة، يقبلون كلما يُقال باسمهم، وقليلاً ما كانوا يدققون في صحّة وسقم الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة ــ عليهم السلام ــ خاصّة إذا كانت تتحدث عن فضائلهم، فلم يكونوا يجتهدون في تنقيحها وتصحيحها، وكما توقّع أولئك الأئمّة الكرام ذاتهم يبدو أنّ الله ذهب بعقول جماعات من أولئك العامّة كما روى الكشّيّ في رجاله ذيل بيانه لحال «أسلم المكيّ» مولى محمد بن الحنفية أن الإمام محمد الباقر عليه السلام كان يقول: «لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أربَاعهم لنا شُكَّاكَاً والربع الآخر أحمقاً!!».

إن مثل أولئك العوام البسطاء السُّذَّج هم الذين كانوا يصدِّقون كل ما يسمعونه باسم الإمام ويجعلونه ملاكاً لعقيدتهم وأعمالهم ولو كان مخالفاً لصريح آيات القرآن. ومن البديهي أن هؤلاء السُذَّج لم يكونوا مقبولين لدى الأئمة ــ عليهم السلام ــ الذين كانوا زبدة الناس وأعقلهم وأحكمهم فما كان الأئمة ــ عليهم السلام ــ يحبّون أمثال أولئك السُّذَّج، بل كانوا يحبُّون العقلاء النبهاء كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنا لنحب من شيعتنا من كان عاقلاً فهيماً حليماً مداريا صدوقاً وفياً».

وروى الشيخ المفيد في أماليه (ص 113، المجلس 23) نحو ذلك الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «إنا لنحب من شيعتنا من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مداريا صبوراً صدوقاً وفيّاً. ثم قال: إن الله تبارك وتعالى خصَّ الأنبياء عليهم السلام

بمكارم الأخلاق فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم تكن فيه فليتضرَّع إلى الله تبارك وتعالى وليسأله. قال: جُعِلت فداك! وما هي؟ قال عليه السلام: ﴿ الورع والقنوع والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والأمانة».

وكما قلنا من قبل ذيل بحثنا حول الولاية[35] وحول مودة المؤمنين بعضهم بعضاً: إن محبّة المؤمنين ومودَّتهم هي تلك السنخية في أعمالهم الحسنة التي يقومون بها تجاه بعضهم بعضاً. وإنّ محبّة عليٍّ وأولاد عليٍّ هي في الحقيقة محبة حقائق الدين والأعمال الحسنة والخصائل الفاضلة التي كان عليٌّ والخُلَّص من أولاده مظهراً بارزاً لها. فحبُّ عليٍّ يعني حبَّ الإيمان بالله، لأن عليّاً كان من أكبر المؤمنين بالله، بل المظهر الأتم للإيمان، وحبُّ عليٍّ يعني حبَّ الإيمان بالقيامة والحرص على إعداد الزاد لها من التقوى والأعمال الصالحة، لأن عليّاً كان من أكبر المؤمنين بالقيامة، كما قال تعالى بشأنه وشأن أهل بيته: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان:7]، وفي النهاية حبُّ عليٍّ يعني حبَّ الصلاة والزكاة والمساواة ونصرة المظلوم ومحاربة الظالم والأخذ على يديه، وحب العدالة، وسائر الفضائل الإنسانية العالية التي كان عليٌّ أكبرَ مظهر لها، أما تلك المحبة الوهميَّة التي يدَّعيها المتخيِّلون أصحاب الأوهام - ويسمُّونها ولاية عليٍّ - لا ينشأ منها أي خير وفائدة.

إن التشابه في السنخ وفي الطبيعة الخلقية هي التي تجعل الأفراد أحباء بعضهم بعضاً. أما أنواع الحب الأخرى فليست بشيء، وربما كان منشؤها أموراً ماديَّةً. فشيعة عليٍّ وأتباعه معناها أنهم محبُّو العدالة والأمانة والعفَّة والتقوى و... و... كما روى الطبرسي[36] في كتابه «مشكاة الأنوار» عن «عبد الله بن زياد قال سلَّمنا على أبي عبد الله عليه السلام بمنى ثم قلتُ:

---

(35) أي في القسم الثاني من كتابه ﴿ طريق النجاة من شر الغلاة ﴾ وهو القسم المعنون بـ «بحث در ولايت وحقيقت آن» أي بحث في الولاية وحقيقتها. (المترجم)

(36) هو أبو الفضل، علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي. وهو ابن الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب كتاب «مكارم الأخلاق» وحفيد أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير «مجمع البيان». وهو من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري، ولم يُعْرَف بالضبط تاريخ ولادته ووفاته، ولكن بالنظر إلى أن تاريخ وفاة جده أمين الإسلام الطبرسي كانت في سنة 548 للهجرة فمن المحتمل قوياً أنه قد أدرك جده وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن وفاته كانت خلال سنوات ال 600 للهجرة.

يا ابن رسول الله! إنا قومٌ مجتازون لسنا نطيق هذا المجلس منك كلما أردناه ولا نقدر عليه فَأَوْصِنا. قال: أوصيكم بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الصحابة لمن صاحبكم وإفشاء السلام وإطعام الطعام صلوا في مساجدهم وعودوا مرضاهم واتّبعوا جنائزهم فإن أبي حدثني أن شيعتَنا أهلَ البيت كانوا خيار من كانوا منهم، إن كان فقيه كان منهم وإن كان مؤذن كان منهم وإن كان إمام كان منهم وإن كان كافل يتيم كان منهم وإن كان صاحب أمانة كان منهم وإن كان صاحب وديعة كان منهم فكذلك فكونوا، حبِّبُونا إلى الناس ولا تُبَغِّضُونا إليهم»[37].

وروى الشيخ المفيد في «الإرشاد» بسنده عن سفيان بن عيينة عن ابن شهاب الزهري قال: «حدثنا علي بن الحسين عليه السلام وكان أفضل هاشمي أدركناه قال: أحبونا حب الإسلام فما زال حبُّكم لنا حتى صار شيناً علينا.»[38].

وكذلك روى ابن شهر آشوب[39] في «المناقب» (ج4/ص 162) نقلاً عن حلية الأولياء «قال يحيى بن سعيد: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول واجتمع عليه أناس فقالوا له ذلك القول يعني الإمامة فقال: أحبونا حب الإسلام فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار

---

(37) علي بن الحسن الطبرسي، «مشكاة الأنوار»، ط2، النجف: المطبعة الحيدرية، 1385هـ، ص 146.

(38) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص 141. (المترجم)

(39) هو رشيد الدين، محمد بن شهرآشوب المازندراني، من علماء الشيعة الإمامية وفقهائهم ومحدثيهم البارزين في القرن السادس الهجري، وُلِدَ في مازندران (شمال إيران) سنة 489 هـ، وطاف في البلدان يتلقى العلم عن علماء الشيعة والسنة في عصره فكان من أساتذته جار الله الزمخشري المعتزلي، والفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان والشيخ الطبرسي صاحب الاحتجاج وقطب الدين الراوندي وغيرهم. من أشهر كتبه: «مناقب آل أبي طالب عليهم‌السلام» في أربعة مجلدات وكتاب متشابه القرآن وكتاب أساب النزول. ومما ميز ابن شهر آشوب أنه من علماء الشيعة الذين أطرى عليهم علماء أهل السنة كثيراً، فوصفه العلامة شمس الدين الداودي تلميذ السيوطي بأنه وصل إلى غاية التخصص في مختلف العلوم وكان إمام زمانه ووحيد عصره. أكثر تضلعه في علوم القرآن والحديث وهو بين الشيعة من حيث اعتباره ومنزلته كالخطيب البغدادي بين أهل السنة. اهـ. وجاء في ترجمته في كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي: أن ابن شهرآشوب حفظ القرآن وله ثمان سنين وبلغ النهاية في أصول الشيعة،كان يُرْحَل إليه من البلاد، ثم تقدم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه، وكان بهي المنظر حسن الوجه والشيبة صدوق اللهجة مليح المحاورة واسع العلم كثير الخشوع والعبادة والتهجد لا يكون إلا على وضوء.اهـ.، تُوُفِّيَ في حلب شمال سورية، سنة 558هـ ودفن بها. (المترجم)

علينا عاراً، وفي رواية الزهري: ما زال حبكم لنا حتى صار شيناً علينا.»[40].

وروى الكشي في رجاله (ص 111)[41] قال: حدثني محمد بن مسعود، قال حدثني أبو عبد الله الحسين بن إشكيب، قال حدثني محمد بن أورمة، عن الحسين بن سعيد، قال حدثني علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن ضريس، قال قال لي أبو خالد الكابلي أما إني سأحدثك بحديث إن رأيتموه وأنا حيٌّ فقلتَ صَدَقَنِي، وإن متُّ قبل أن تراه ترحَّمت علي ودعوت لي، سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إن اليهود أحبوا عزيراً حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عزير منهم ولا هم من عزير، وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وأنا على سُنَّةٍ من ذلك إن قوماً من شيعتنا سيحبُّونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير وما قالت النصارى في عيسى ابن مريم فلا هم منا ولا نحن منهم.».

قلتُ: ومن البديهي أن أحداً من أمة الإسلام لن يجرؤ على القول بأن الإمام الفلاني كان ابن الله، تعالى الله عن ذلك، لأن آيات القرآن ردت على نحو متكرر وبأشد العبارات صراحة ادعاء الابن لِلَّهِ، والمسلمون يقرؤون على الأقل خمس مرات في اليوم والليلة في ركعات صلواتهم سورة الإخلاص التي تؤكد أنه تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:3]، لذا فإن الغلو سيكون بشكل آخر ألا وهو نسبة الصفات الإلهية المغالية للأئمة كالقول بأنهم مدبِّرو الكون والمتصرّفون في عالم الإمكان ونحو ذلك من العقائد الباطلة السخيفة، والواقع أن مثل هذه العقائد أسوأ وأقبح مما ادعته اليهود بحق العُزَير والنصارى بحق عيسى بن مريم عليه السلام، كما نبَّه إلى ذلك الأئمة أنفسهم حين قال صادقهم: «وَاللهِ إنَّ الغلاةَ شرٌّ من اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أشْرَكُوا»!

فالذي يؤمن بالله الواحد وبنبوة الأنبياء ويخشى يوم الحساب ويتبع أهل بيت النبي الطاهرين ويحبهم ويتمتع بعقل نابه ووجدان حي لا يمكن أبداً أن يتفوه بمثل تلك الكلمات

---

(40) ابن شهرآشوب المازندراني، «المناقب»، قم: مؤسسة العلامة للنشر، 1379هـ، ج4/ص162.

(41) وفي نسخة رجال الكشي، طبع جامعة مشهد في ص 120. (المترجم)

التي هي من عقائد الغلاة فضلاً عن أن يسمح لمثل تلك الخيالات الباطلة والشرك المحـــض أن تجد طريقها إلى قلبه بل ينهض إلى محاربة مثل تلك الخرافات دون خوف من أتباعها حتى ولو خالفه آلاف ممن يتسمَّون بآيات الله العظمى، وعمدوا إلى إصدار الفتاوى في تكفيره لأن هذه الفتاوى هي في الحقيقة مردودة عليهم فهم أصحاب العقائد الكفرية والشركية بنص القـــرآن الكريم.

بهذا نختتم هذا الفصل آملين أن ينفع تذكيرنا هذا مجتمعنا الذي عشعشت فيه الخرافات وأن يوقظ النفوس الصادقة المتهيئة لقبول حقائق الإسلام ويهديها إلى الحق والصواب، فتـــبرأ من أمثال تلك الموهومات وتتمسك بعروة النجاة الوثقى القرآن الكريم والأحاديـــث الـــتي يصدِّقها القرآن فتنجو من تلك الضلالات وتنال سعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خلاصة مباحث كتاب «طريق النجاة من شر الغلاة»

في ختام مباحثنا الخمسة نقول إن قصدنا منها كان بيان خلاصة عن العقائد الإسلامية الصحيحة. ولعلَّ القراء الكرام الذين ربّما أصيبوا بالحيرة لدى قراءَتِهم تلك المباحث التي كشفت لهم أن كثيراً من العقائد والأفكار التي كانوا يظنُّونها من قبل جزءاً من حقائق الإسلام يسألون إذن ما هي الحقيقة؟

لذا وضعنا أمام القراء الكرام العقائد والأحكام التي أوحى بها الله تعالى رب العالمين بواسطة آيات القرآن الكريم إلى نبي آخر الزمان (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ). وقد رأينا أن هذا العمل لا يتحقق بالاختصار، كما أن ذكره بالتفصيل يخرج عن حدود هذه الرسالة، ومن الجهة الأخرى يحتاج إعداد هذه المطالب بشكل مفصَّل إلى وقت أكثر ومن جهة ثالثة، ليس لدينا وسيلة لطباعة ونشر كتاب مفصل كبير في هذا الأمر، وخير شاهد على ما نقول الوضع المتواضع جداً لهذا الكتاب الذي بين يديه من حيث الطباعة والإخراج والذي اضطرُرنا إليه نتيجة قلة الإمكانات والوسائل!

لذلك صرفنا النظر عن كتابة كتاب مفصَّل في هذا الصدد وأوكلنا الموضوع إلى وقت آخر إن شاء الله عسى أن ييسِّر الله لنا في المستقبل تأليف كتاب جامع حول حقائق عقائد وأحكام الإسلام بتفصيل تام لنضعه في متناول طالبيه.

وهنا نكتفي في هذه الخلاصة الختامية بتلخيص نهائي للمباحث التي بحثناها في كتابنا «طريق النجاة من شر الغلاة» ليكون ذلك بمنزلة فهرس ختامي لمطالبه:

لقد قمنا في كتابنا هذا ببحث المطالب العقائدية الهامة التالية والتحقيق بها وفصَّلنا أمرها بقدر الوسع:

1- في المبحث الأول أثبتنا أن علم الغيب مختص بذات الباري تعالى ولا أحد من المخلوقات من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين أو الأولياء الصدِّيقين وعباد الله الصالحين

يملك علم الغيب بل لا يعلم أحدٌ من المخلوقات مهما علا شأنه شيئاً من الغيوب إلا ما علَّمه الله تعالى وأبلغه إلى رسله عبر الوحي، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا * عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن:25-27]، وقد أثبتنا أن هذا المطلب ثابت وواضح في آيات القرآن الكريم وسيرة النبي الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وتاريخ الأئمة عليهم السلام وعقائد الأصحاب والخاصة وأقوال العلماء والفقهاء. وعلاوة على ذلك فإن العقل والوجدان والبينة والبرهان كلها شاهد صدق كافٍ على هذه الحقيقة. كما أوضحنا أن معرفة علم الغيب والاطلاع على الحوادث المستقبلية لا ينفع أي بشر بل هو مضر تماماً ولأجل هذه الحكمة البالغة اختص الله تعالى ذاته المقدسة بعلم الغيب وأخفاه عن مخلوقاته وستره عنها.

2- في المبحث الثاني حول موضوع الولاية حققنا وبحثنا في حقيقة الولاية وأثبتنا أنها المحبة والولاء والمودة التي يبذلها المؤمنون لبعضهم البعض والتي أوصى بها الله تعالى وأكد عليها في قرابة مئة آية من آيات القرآن، وللأسف، ليس هناك أثرٌ اليوم لتلك المودة والمحبة التي أرادها القرآن بين المسلمين. بل كما نرى بكل أسف لقد فسروا الولاية التي أرادها القرآنُ تفسيراً خاطئاً حوَّلها إلى وسيلة للعداوة بين طوائف المسلمين الذين يتعدون يوماً بعد يوم عن بعضهم بسبب ما يثيره الأعداء بينهم، إلى حد الاقتتال بين أفرادهم، ذلك لأنهم من جهة حصروا الولاية المتعلقة في الأصل بعامة المسلمين تجاه بعضهم البعض بولاية أفراد معدودين خاصين وهم الأئمة من آل البيت الذين رحلوا جميعاً عن هذه الدنيا و لم يبق أحد منهم اليوم كي يستفيد من تلك الولاية، وحتى لو وُجِد فمن المسلَّم أنه لا يمكنه الاستفادة منها لأن المعنى الذي يريده أولئك من الولاية والمحبة لأولئك الأفراد الخاصين، والذي حرموا منه الآخرين ومنعوه عنهم هو نوع من المحبة الخيالية التي المحبة والمحبوب كلاهما فيها خياليان، أما كون المحبوب فيها خيالياً مُتَوَهَّماً فلأنَّ عليّاً الذي يحبّه الغلاة هو عليٌّ المحيط- حسب تخيلهم - بكل العالَم والمسيطر على جميع الأمم من بني آدم وعلى كل الموجودات والعالِمُ بالمغيبات والقادرُ على حل جميع المشكلات وقاضي الحاجات ومحيي الأموات وأمثال هذه الصفات،

وفي الوقت ذاته هو عليٌّ الذي – حسب اعتقادهم – سيدافع عن أعمالهم ويشفع لهم ويمحو سيئاتهم ويأخذهم في النهاية إلى أعلى درجات الجنان. فإذن هم يحبون كائناً لا يوجد في عالم الواقع بل لا يوجد إلا في خيالهم. وشتَّان شتَّان بين الحقيقة وتلك الخيالات! ثم آنئذ جعلوا هذه الولاية التي لا أحد يدري من المولى فيها ومن المولّى عليه وسيلة للعداوة مع سائر المسلمين من أبناء الطوائف الأخرى الذين أُمِروا في الأصل أن يوالوهم ويحبوهم.

وأما كون المحبة في تلك الولاية خيالية فلأنهم ابتدعوا ولايةً عجيبةً لا علاقة لها بالشعور أو العاطفة، إذ يقصدون بالولاية التي يدّعونها لأمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمة الميامين من أولاده، الولاية التكوينية أي أن أمير المؤمنين وكل واحد من الأئمة الآخرين متصرفٌ في الكون والمكان ومدبِّرٌ لعالم الإمكان، ودليلهم علي هذه الولاية، كما يظهر في كلماتهم ومؤلفاتهم، هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة:55]، هذا مع أن الآية خطاب للمؤمنين، فالولاية فيها خاصة بهم في حين أن ما يذكروه من ولاية تكوينية لا تختصّ بالمؤمنين بل تعمّ كلّ المخلوقات لأن الوالي المتصرف في الكون والمكان يملك الولاية على كل الموجودات لا على طائفة خاصة من المؤمنين؟! إن هؤلاء لم يسمحوا لأنفسهم أن يفكروا أنه لو كانت الولاية بهذا المعنى فلماذا جعلها الله مختصة بالمؤمنين، ولم يلاحظوا أن هذا لا ينسجم أبداً مع معنى الولاية التكوينية وتدبير أمور العالم، هذا بمعزل عن أن مثل هذه العقيدة بالولاية التكوينية شرك محض بل أسوأ من شرك مشركي زمن الجاهلية!! والواقع أن الآية المستشهد بها لا علاقة لها بتلك الولاية التكوينية المدَّعاة بل معناها – إذا تركنا التعصب والعناد والحماقة جانباً – واضح وضوح الشمس في وَضَح النهار، وهو المحبة والمودة والتعاون بين المؤمنين التي يدل على وجوبها العقل والوجدان وسنة الكون التي لا تتغير إضافة إلى مئات الآيات القرآنية الكريمة الأخرى. وهذه المحبة لو شاعت بين المؤمنين لحولت الدنيا إلى جنة ولارتقت بالمسلمين إلى أعلى الدرجات. أما المحبة التي يدعيها أولئك الغلاة فما الذي أفادته حتى الآن سوى العداوة والتفرقة بين المسلمين؟! أحقاً كان هدف الله من خلق العالم وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب خاصة القرآن

بكل آياته هو إثبات تلك الولاية المدَّعاة؟! تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.

ولا شك أن ولاية علي وآل علي عليهم السلام بمعنى محبتهم والإيمان بإمامتهم من جهة أنهم أفضل المؤمنين من أفضل الولايات، والأحاديث والأخبار التي صدرت حول هذا الموضوع عن النبي والأئمة سلام الله عليهم والتي حُفِظَت من دسائس الغلاة والدجالين أحاديث صحيحة وقائمة، ولكن كم كان من الأفضل أن تُقَدَّم تلك المحبة والولاء والمودة إليهم حال حياتهم لتكون منشأً لأعمال صالحة، كما هو بكل تأكيد الغاية من صدور تلك الروايات وتواترها، وإلا فما هي الخيرات والبركات المنتَظَرة من محبة الأموات وعشقهم؟ وما الثمرات الحاصلة منها سوى المحبة الخيالية لمحبوبين خياليين والمدائح المليئة بالغلو ونسبة صفات الله تعالى إلى بعض عباده المحتاجين إليه، والتي ليست سوى شرك وابتعاد عن الحقائق وتعدي على حرمة التوحيد.

ما هي الفوائد – بشهادة التجربة والحس والتاريخ – التي حصلت من ذلك المفهوم للولاية حتى اليوم حتى نستمر به؟! ولعل قائلاً يقول إن نتيجة وأثر مثل تلك الولاية والمحبة هي أن تستقرَّ محبة النبي والأئمة في القلوب وتطمئن القلوب لصدقهم وحقيتهم وبالنتيجة تتبعهم الأنفس في تعاليمهم فتطبق أحكام الله تعالى بفضل ذلك. وهذا الادعاء وإن كان صحيحاً في الظاهر إلا أن الذي نراه في مجتمعنا هو خلاف هذه النتيجة. إن هذا الادعاء إنما يكون صحيحاً عندما يكون المظروف أعز من الظرف، وعندما يكون الهدف من حفظ واحترام الظرف هو حرمة وعزة المظروف، وبعبارة أخرى، عندما تكون محبة أولياء الله الذين هم ظرف الحقائق والأحكام الإلهية فرعاً لمحبة تلك الأحكام وشرائع الدين، في حين أن القضية اليوم هي عكس ذلك تماماً، فقد استغرق القوم بمحبة الظرف ذاته (ذوات النبيّ والأئمة) إلى أبعد حد وغرقوا في محبة خيالية، وضعف اهتمامهم بالمظروف – أي بالدين والتعاليم –، والعيان يكفي عن البيان. وبعبارة ملخَّصة، إنَّ محبَّة الإمام فرعٌ لمحبة الدِّين وليس العكس!

3- وفي المبحث الثالث الذي خصصناه للبحث في مسألة «الشفاعة وحقيقتها» بيَّنَّا أن مفهومها الخاطئ الذي شاع بين المسلمين حول الشفاعة كان أحد الأسباب الأساسية

لغرورهم وتأخرهم وتجرُّؤ أرباب الفجور على معاصي الله وتهرُّبهم من العمل بشرائعه وأحكامه، إضافة إلى أن ذلك المفهوم الخاطئ للشفاعة أدى إلى نشأة بدع وأعمال ما أنزل الله بها من سلطان، بل نهى عنها الرحمن، فذلك المفهوم للشفاعة هو الذي دعا إلى تعمير القبور وتجصيصها وبناء الأضرحة والمراقد وتزيينها بالذهب والفضة والجواهر وإضاعة الأموال على قبور الأموات واختراع زيارات وتضمينها عبارات مغاليةً كفريةً، وإقامة مجالس عزاء مبتدعة ونذورات وموقوفات مخالفة لأوامر الله ومرضاته واختراع أدعية وصلوات مجهولة أو عبادات غير مشروعة ولا معقولة أملاً بتلك الشفاعة الخيالية. هذا مع أن الشفاعة بتلك الصورة والكيفية التي يتخيلونها لا يشهد لها لا العقل ولا الوجدان ولا يصدقها القرآن. بل الآيات التي جاءت في القرآن حول الشفاعة، أكثرها يتعلق برد تلك العقيدة الدينية التي كانت في أزمنة الجاهلية والتي كان أصحابها يؤمنون بالآلهة التي تدير بعض شؤون الخليقة والتي كان لكل منها مقام إلهي خاص مثل: إله المطر، إله البحر، إله الحرب، إله القحط والرخص، وأخيراً تطورت تلك العقيدة إلى صورة ألطف شركاً حيث أصبحت عقيدة بملائكة وبأولياء صلحاء خاضعون لسلطان إله الآلهة الذي يحدد لهم مهامهم التي عليهم تنفيذها في الكون.

ولقد أنكر القرآن الكريم واسطة وشفاعة الملائكة في شؤون الخليقة لكنه اعتبر عملهم وسيلة بإذن رب العالمين الذي قال ﴿ ...مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ... ﴾ [البقرة:255] و لم يقبل الشفاعة في الآخرة بتلك الصورة المتصوَّرة أبداً، لأنه أولاً لم يكن الوثنيون المشركون الذين نفى القرآن الكريم شفاعة أصنامهم يعتقدون بالآخرة والقيامة أساساً. وثانياً: إن الشفاعة بتلك الصورة تشبيه لنظام الخلق ببلاط السلاطين المستبدين الجبارين، وهي منافية للإيمان بالرب العليم القدير والمختار. نعم، الشفاعة التي يقبلها القرآن والعقل والوجدان هي استغفار الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) والمؤمنين لسائر المؤمنين، وكذلك استغفار الملائكة لمن في الأرض طبقاً لإذن الله المتعال وعملاً بأمره الذي قال: ﴿ ... وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... ﴾ [محمد:19] وهي الشفاعة ذاتها التي أذن الله بها قبلاً للمؤمنين والتي سيظهر نفعها يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ

قَوْلًا ﴾ [طـه:109] كما مر شرحه مفصَّلاً.

4- وفي المبحث الرابع الذي خصصناه لموضوع «زيارة المراقد» بيّنّا أنه لا أثر ولا دليل على تلك الزيارات الخاصَّة للمراقد لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) ولا في عمل مسلمي الصدر الأول، بل بينا أن نهيَ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) في بداية بعثته عن زيارة القبور أمر متواتر. ثم سمح بها (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لأنها تذكرنا بالآخرة. ولكننا نرى اليوم أن هذه الزيارات للقبور والمراقد قد أخذت صورة يمكن أن نقول إنها مصداقٌ كاملٌ للآية الكريمة التي ذمَّت عبّاد الأوثان فقالت: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ؟؟ ﴾ [الصافات:95]. فلقد بنى المسلمون مراقد على ما اعتبروه في منامهم أو خيالهم قبوراً لأئمة أو صالحين، وشيَّدوا عليها قباباً وأضرحة وأخذوا يخترعون لها زيارات وأدعية خاصة ويعلم الله كم أصاب المسلمين، من هذا الباب، من ضرر وخسائر في دنياهم وآخرتهم.

5- وفي المبحث الخامس درسنا موضوع «الغلو والغلاة» فبحثنا في نشأة الغلو وعرَّفنا بالغلاة وأفكارهم وفرقهم وبيَّنا أنهم أعداء الدين الحقيقيين الذين أدخلوا فيه كل تلك البدع والخرافات، وبيَّنا كيف قام الأئمة عليهم السلام بالتحذير من شرهم وأنهم أسوأ من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «احذروا على شبابكم الغُلاةَ لا يُفْسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ اللهِ، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ اللهِ، وَاللهِ إنَّ الغلاةَ شَرٌّ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمَجُوسِ وَالذِينَ أشْرَكُوا».

وأخيراً نقول: رغم أن إزالة غبار الخرافات والأباطيل المتراكم بشدَّة فوق الوجه النوراني لشريعة الإسلام قد يبدو لأول وهلة عملاً عسيراً للغاية يتطلب جهوداً جبّارة وتحمّلاً لأذى كبير، نظراً لطول العهود التي تراكمت فيها تلك الأوساخ والشوائب، حتى أصبح الكثيرون يظنُّون أنها جزء لا يتجزأ من حقيقة الدين، إلا أن هذا لا يعفينا من المسؤولية التي توجب علينا أن نقوم بهذا الجهد الذي له من الأهمية البالغة في نظرنا ما يفوق أهميَّة أيِّ أمر آخر.

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

انتهيتُ من تأليف هذه الرسالة سنة 1351 هجرية شمســـية (1972م) وستتم طباعته هذا العام أي سنة 1359 هجرية شمسية (1980م.) إن شاء الله.

حيدر علي قلمداران

مصادر التأليف والتحقيق لبحث الغلوّ

1) القرآن الكريم.

2) ابن الفتال، الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي الفتال النيشابوري (508هـ.)، «روضة الواعظين وبصيرة المتعظين»، قم: دار الرضيّ للنشر، بدون تاريخ، وذكر فيه أنه صُوِّرَ طبقاً لنسخة طبعت سنة 1386هـ في النجف الأشرف.

3) ابن شهرآشوب المازندراني (558هـ)، «مناقب آل أبي طالب»، قم: مؤسسة العلامة للنشر، 1379هـ.

4) ابن منظور، العلامة ابن منظور الأفريقي، لسان العرب.

5) أبو نعيم الأصفهاني، الشيخ الحافظ أحمد بن عبد الله (430هـ)، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، بيروت.

6) أحمد بن حنبل، الإمام (241 هـ)، المسند، وزوائد المسند لعبد الله بن الإمام أحمد.

7) الأشعري القمي، سعد بن عبد الله بن أبي خلف (301هـ)، «المقالات والفرق»، صححه وعلَّق عليه د. محمد جواد مشكور، طهران، 1963هـ.

8) البَرسي، الشيخ حافظ رجب بن الشيخ محمد بن رجب البرسي (كان حيا سنة 813 هـ؟)، «مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين»، بيروت: دار الأندلس.

9) الثقفي، أبو اسحق إبراهيم بن هلال الثقفي الكوفي (283هـ)، «الغارات» (أو الاستنفار والغارات)، ط1، بيروت، 1407هـ، حققه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

10) الحائري، الشيخ علي اليزدي الحائري (1333هـ)، «إلزام الناصب في إثبات

الحجة الغائب».

11) الحاكم النيسابوري، الحافظ محمد بن عبد الله (275هـ)، المستدرك على الصحيحين.

12) الشريف الرضي (406هـ)، نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، ط1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980م.

13) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (381 هـ)، «اعتقادات الإمامية».

14) الطبرسي، علي بن الحسن الطبرسي (القرن السادس الهجري؟)، «مشكاة الأنوار»، ط2، النجف: المطبعة الحيدرية، 1385هـ.

15) الطوسي، الشَّيْخُ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (460 هـ)، كتاب «الأَمَالِي» (أو المجالس)، ط1، قم: دار الثقافة للنشر، 1414 هـ

16) طه نجف، آية الله الشيخ محمد طه نجف، «إتقان المقال في أحوال الرجال».

17) الكشي، أبو عمرو، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي (حدود سنة 350 هـ؟)، «رجال الكشي»، الطبعة القديمة، أو طبعة مؤسسة النشر في جامعة مشهد/ إيران، 1348 هـ، بتحقيق الدكتور حسن المصطفوي.

18) المامقاني (أو الممقاني)، آية الله الشيخ عبد الله (1350هـ)، «تنقيح المقال في أحوال الرجال»، طبعة حجرية بدون مشخصات.

19) المامقاني (أو الممقاني)، آية الله الشيخ عبد الله (1350هـ)، «مقباس الهداية في علم الدراية».

20) المتقي الهندي، العلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان

فوري (975هـ)، «كنز العمال»، ضبطه وصححه ووضع فهارسه الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1409 هـ/ 1989 م.

21) المجلسي، العلامة المنلا محمد باقر بن محمد تقي (1110هـ)، «بحار الأنوار»، طبعة كمپاني الحجرية القديمة في تبريز، وطبعة بيروت، مؤسسة الوفاء، 1404هـ في 110 مجلدات.

22) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري البغدادي (413هـ)، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، ط1، الناشر: قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، 1413 هـ..

23) النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (300 أو 310؟)، «فرق الشيعة»، صححه وعلَّق عليه: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، النجف 1355هـ.

24) هاشم معروف الحسني، «الموضوعات في الآثار والأخبار عرض ودراسة»، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1973م.

25) الهيثمي، «مجمع الزوائد»، من برنامج الموسوعة الإسلامية الشاملة والكاملة.

فهرس الموضوعات

مقدِّمة المترجم .... **Error! Bookmark not defined.**3
صورة لغلاف الكتاب باللغة الفارسية............ **Error! Bookmark not defined.**8
بــحــــــث حـــــــول الشفـــاعة وحقيقتها ... Error! Bookmark not defined.**9**
مقدمة المؤلِّف .... **Error! Bookmark not defined.**10
تـــمـــهيـــد .... **Error! Bookmark not defined.**12
موضوع الشفاعة وحقيقته .... **Error! Bookmark not defined.**16
من أسباب نشر كتب الغلاة وترويج عقائد أهل الغلوّ**Error! Bookmark not defined.**23
نظرة تاريخية إلى مفهوم الشفاعة لدى الأمم السابقة**Error! Bookmark not defined.**26
حقيقة الشفاعة الصحيحة ومفهومها في الكتاب والسنة**Error! Bookmark not defined.**34
اعتراضٌ والإجابةُ عنه .... **Error! Bookmark not defined.**50
الأئمَّة المعصومون ينفون الشفاعة عن أنفسهم ويحصرون النجاة بالتقوى والورع**Bookmark not defined.**
تمحيص أحاديث الشفاعة وبيان ضعفها .... **Error! Bookmark not defined.**58
الشفاعة عند الله لا تُقاس على الشفاعة عند سلاطين الدنيا**Error! Bookmark not defined.**86
خلاصة بحث الشفاعة .... **Error! Bookmark not defined.**96
مصادر التأليف والتحقيق لبحث الشفاعة ..... **Error! Bookmark not defined.**100
بــحــــــث حـــــــول الغـــــلو والغــــــــلاة................................ **1**
تمهيد في علل نشأة الغُلُوّ في الأديان 3
مبدأ نشأة الغُلُوّ في الإسلام وبين الشيعة 9
تسرب بعض عقائد الغلاة القدماء إلى المتأخرين 13
براءة أئمة أهل البيت من الغلو ولعنهم الغلاة 25
تمكُّن الغلاة من دسّ كثير من أخبار الغلوّ بين الآثار الصحيحة المروية عن الأئمة................. 40
خلاصة مباحث كتاب «طريق النجاة من شر الغلاة» 47
مصادر التأليف والتحقيق لبحث الغلوّ 54

فهرس الموضوعات 57